المكتبة الثقافية
(٣٩٩)

نظرات نقدية
في القصة القصيرة والرواية

إبراهيم سعفان



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٥

اهـــداء

الى اخـى العزيـز

الدكتور عبد العزيز الدسوقى

الايجابية فى شخصيات

محمــود البــدوى ..

عالم محمود البدوى القصصى رحب وثرى يحتاج الى العديد من الدراسات النقدية لاستكشاف جوانب عالم هــذا الرائد الفنــان الذى أصــل فن القصــة فى مطلع الثلاثينــات ومازال عطــاؤه مســتمرا بقوة وحيويـــة واستاذية .. محمود البدوى يتميز بحسه الفنى الرقيق وذوقه المثقف ورهافة اللفظ . وبراعة تصوير المواقف التى تكشف عن أبعاد الشخصيات التى يرسمها بدقــة ويبرز أبعادها الاجتماعية والنفسية والخلقية .. ويكشف عما تعانيه من صراع مع نفسها .. أو مع الآخرين .. ولأن هذه الشخصيات سوية وواعية لها ضمير حى يقظ تخرج من أزماتها منتصرة على نفسها فى لحظات الضعف وهذا أقوى الانتصارات على النفس او على الآخرين .. والملفت للنظر حقا فى سلوك هذه الشخصيات انه سلوك طبيعى لا افتعال فيه تتعرض للحظات تكون فيها قويــة ولحظات تكون فيها ضعيفة ولكن نرى البدوى فى لحظات

الضعف التى تتعرض لها شخصياته سواء بسبب اجتماعى أو بسبب الجنس الذى يتناوله الكاتب بشكل طبيعى يدير الصراع الداخلى بين الخير والشر حتى يكون لانتصارها معنى وعبرة للآخرين .. ويبرز أيضا أن هذا الانتصار لم يجىء عفوا ولكن نتيجة حتمية لتسلح هذه الشخصيات بالأخلاق والثقافة وليؤكد أيضا أن الخير هو الأساس فى الانسان وبهذا الخير تستمر الحياة .. وتتأكد العلاقات بين الناس .

والبدوى لا يفرض نفسه على شخصياته ولكنها تفصح بنفسها عن أفكارها بشكل طبيعى من خلال الحوار المناسب لعقلها ومن خلال الموقف التى تتحرك فيها بطبيعية ، كما أن الكاتب يقدم شخصياته من تجارب عاشها بنفسه أو تجارب سمعها عن الآخرين يتمثلها الكاتب تماما ثم يخرجها بعد ذلك عملا فنيا والمعروف انه « لا يوجد عمل فنى الا وله ماض فى نفس صاحبه ، هذا الماضى هو تجربة قديمة مرت بهذا الشخص فتركت آثارا فى نفسه ، هذه الآثار قد تختفى من السطح ولكن هذا لا يعنى انها ماتت » .

وشخصيات البدوى ليست كلها خيرة وايجابية ولكن يوجد شخصيات سلبية شريرة فاسدة تضر نفسها ، وتضر المجتمع ولكن قدرة البدوى الفنية تنجلى واضحة فى تقديمه لهذه الشخصيات فهو يبين الظروف التى دفعت

بهـذه الشخصـيات الى التدمير .. تدمير نفسـها .. وتدمير المجتمع .. ويؤكد البدوى من خلال هذه النماذج التى يكتب عنها ان الانسان عندما يفقد ارادته يفقد كل شيء وينحدر الى الهاوية لأنه لا يملك القدرة على التحكم فى سـلوكه .. فى تفكيره نتيجة عدم الخبرة أو افتقـاد الثقافـة .

ويتمثل هذا فى قصص مثل « الأعمى » ـ مجموعة الذئاب الجائعة ، وفى التمثال ـ مجموعة صقر الليل ، وفى « صوت البحر » ـ مجموعة صورة فى الجدار ، وفى شخصـية سليم فى قصة « السلسلة » مجموعة عذراء ووحش ـ ، وفى شخصية دياب الذى تحول الى قاتل بعد الأخذ بثأر أبيه ـ مجموعة عذراء ووحش .

والأمثـلة كثيرة فى قصص البـدوى ولـكن نكتفى بما ذكرناه كأمثلة وسنتناول هذا الموضوع فى مقال آخر ان شاء الله .

فالبدوى اذن يبرز عنصر الارادة ويبين اهميتـه بالنسبة للانسان ، لأن الارادة القوية تحمى صاحبهـا من الانحراف فى كثير من المواقف التى يمر بها ، وهـذا سبب تفير بطل قصة « فى القطار ـ مجموعة ذئاب جائعة من الاشتهاء الجنونى للرسالة الجميلة التى تعرف عليها فى بخارست الى انسان طبيعى خمدت فيه نار الشهوة

فتبددت أحلامه الوردية التى اشعلت خياله بالاستمتاع بجسد هذه المراة الجميلة .. ويبين البدوى سبب هذا التغير .. والسبب طبيعى ويمكن أن يحدث فى اى وقت وهو المرض .. فيدفعه نبله الى السهر بجانبها طوال الليل يرعاها حتى شفيت ولنستمع الى بطل القصة لنقف على مدى رغبته الجنونية فى الرسامة ، وظلت ساهرة .. وبعد منتصف الليل نامت .. واخذت انظر الى وجهها وهى تتنفس فى هدوء .. والى جسمها وقد لف فى الأغطية فى الليلة الماضية .. تحت تأثير الخمر وتعب الأعصاب من السهر الطويل .. وتحت تأثير كل ما طاف فى راسى من فكر .. ودار من هواجس .. اشتهيت هذا الجسم وتمنيت أن يكون لى ساعة من الزمان .. وهو الآن فى متناول يدى ... واراه بجميع تقاطيعه وكل محاسنه واضع يدى على صدرها والمس ذراعها العارية ، وانا أضم اليها الأغطية واعطيها بعض المقويات ومع كل ذلك فشعورى الليلة غير شعورى بالأمس .. فقد سكنت ثورة العاصفة التى كانت تشتعل فى جسمى فى الليلة الماضية .. ولازمنى الليلة احساس جديد .. فيه روحانية جارفة .. ألأنها مريضة ؟ ألأنى ادركت سمو نفسها ؟ ألأن صلتى قد توقفت واشتدت عن ذى قبل ؟ لم أكن أدرى » .

فالبدوى يصور هنا الرغبة المتحكمة فى الانسان وامنيته فى الاستمتاع بجسد المراة .. ثم نراه يبين فى

هدوء وطبيعية سبب تغير الانسان من ذئب يمهد لاقتناص فريسته الى انسان نبيل يؤثر فيه موقف المريض .. ولم يذكر البدوى سببا واحدا ولكن ذكر اكثر من سبب وهو المرض أو سمو نفس الفنانة وحديثها أو الصداقة التى توثقت بينهما فكان لزاما عليه أن يرعى قداسة الصداقة ولا يخونها .

وهذا السلوك النبيل الذى رأيناه يسلكه ايضا بطل قصة « صورة فى الجدار » وقد عنون الكاتب المجموعة باسمها . وهى قصة ممتازة ، فالبطلة فى هذه القصة أيضا رسامة وتسمى « سهير » تربطها ببطل القصة صداقة قديمة تدعوه ، لزيارة معرضها فى قصر الفنانين فى الغورية ، ويبدأ محمود البدوى فى نسج أحداث القصة خطوة بخطوة يهىء فيها الجو لما سيحدث بين سهير وصديقها وليكشف رويدا عما يعتمل فى نفسية كل منهما من رغبة جنسية عارمة . فالنور ينقطع فى الحى يتبين البدوى أثر الظلام الذى عم المكان فى نفسية البطل « كنت أشعر بفرح غامر .. فى هذه الظلمة .. وهذا السكون وشعرت بأننا وصلنا الى العش الذى هيأه القدر لنا دون أن نبذل جهدا » ويبين البدوى على لسان البطل ما يشعر به داخليا تجاه هذه الفرحة التى اتيحت له « جاسنا متجاورين على الحشية صامتين .. تسبح خواطرنا فيما يشبه الأحلام .. ونسينا انفسنا .. وكنا

نسبح معا فى ضوء الشمعة .. نسبح فى خواطر جميلة .. وصوبت الى نظرة حالمة وقرات فى عينيها الرغبة .. فأمسكت بيدها .. وشعرت بالنعومة والعذوبة .. ولمست الحنان .. وهى تشد على يدى فى دلال .. وتتحول بجسمها وتكاد تضغط على صدرى » .

الجو مهيأ .. سواء خارجيا أو داخليا عند الشخصيتين .. وقدرة البدوى الفنية تنجلى فى أنه يرتفع بالحدث الى نقطة الغليان ولهذا قيمته لتعرف قيمة تصرف البطل بعد ذلك .. وكيف سيطر بقوة ارادته على هذه الرغبة العارمة لصديقته .. فيتحول الموقف من الخطيئة الى النبل والانسانية .. وذلك عندما يلمح صورة معلقة فى اطار ذهبى .. فيسألها عن صاحب الصورة ولماذا يلبس نظارة سوداء فتخبره بانها صورة زوجها ، وانه اعمى وحينئذ أحس « بخنجر يمزق احشائى .. ان العين العمياء تنظر الى فى سخرية قاتلة .. انطفأت الجذوة التى اشتعلت فى جسمى ، وحل محلها لوح من الثلج حط على عاتقى واحسست بالبرودة الشديدة وبالرعشة » .

تصوير دقيق من فنان قدير يمتلك ادارته الفنية والثقافية والخبرة الطويلة مع الحياة مكنته من فهم النفس الانسانية ومعرفة اسرارها .. فى هذه القصة أيضا أوجد البدوى سببا طبيعيا غير مقحم كما فعل فى القصة

السابقة .. ففى القصة السابقة المرض والعشرة ، وفى هذه القصة صورة الزوج المعلقة على الحائط والسبب الآخر اصابتــه بالعمى .. فـلم يرض ان يخون الزوج والمصاب بعاهة .

وفى قصة اخرى « الطبيب » ــ مجموعة السفينة الذهبية ــ نجد نموذجا آخر مثالا للطيبة وفعل الخير عن اقتناع ، وهو الدكتور شفيق الذى يكشف على مرضاه ومعظمهم من الفقراء مجانا ويعطيهم الدواء أيضا مجانا .. ولا يبخل بوقته من أجــل شرح طريقــة تعاطى الدواء ، ولا يجد مشقة فى هذا العمل الذى يؤديه بصبر وحنــان فترة طويلة على المرضى .

ان الدكتور شفيق متفائل دائما وكان « منبع عظمته من تفاؤله الشديد الأمــل فى النفوس الخامــدة وقوة جلده .. ودرايته التامة بعلل النفس الانسانية » .

يعيش الدكتور وحيدا بعد وفــاة زوجته لم ير جاره فى العيادة الذى يروى البدوى القصــة على لسانه أحدا أبدا معه .. وذات ليلة رأى بجانبه فتاة من مرضاه .. عرف الجار بعد ذلك ان الدكتور شفيق تزوجها . وكان سعيدا بهذا الزواج .. وفجأة توفى بعد شهر من الزواج ولاحظ الجــار وهو يقوم بواجب العزاء أن الزوجــة تتحرك فى حزن وفى شهرها الرابع على الأقل وتعرف من

الجار بعد ذلك ، ان هـذا الرجل النبيل بزواجه من هذه الفتاة لم يكن يبغى المتعة وانما كان يود ان يخفى عارها « بهـذا الموقف الجديد الذى يضيفه البـدوى للدكتور شفيق يبين سبب عظمة هذا الانسان ونبله وتضحيته من اجل اسعاد الآخرين .. ويقدم البدوى فى قصـة اخرى نموذجـا آخر من النسـاء كما قدم من الرجـال نموذجا للانسانية ففى قصة « ليل العاصفة » نجد امراة تتصرف تصرفا يدل على عنصر الخـير المدفـون فى أعماقهـا .. فتتقابل مع دكتور هارب من امراة جميلة تطـارده وهو الرجل الجاد المحافظ على سمعته ويرفض الخضـوع لهذه المراة ويقرر ان « يستمر على النهج الصـارم الذى رسمه لنفسه ولا يسمح لها بأى منفذ من الدائرة التى احاطها بعمله كطبيب » .. هرب فى سـيارته فى ليلة عاصفة ومعه امراة الليل التى وجدها فى الشارع وسـط العاصفة .. نام على الدركسيون من التعب وهى بجانبه تحدق فيه ورأت فى جيبه حزمة من أوراق البنكنوت .. فكرت ان تأخـذها وتتركه فهـذه النقود اكثر من كل ما يعطيه لها أى رجل « فكرت فى هذا ولكن عندما نظرت الى وجهـه الانسـانى لم تستطع فعل هـذا .. وظلت بجواره ساهرة حتى استيقظ » .

فـاذا كان البدوى فى هـذه القصص قد جعـل الايجابية بسبب مرض أو المحافظة على صداقة او موقف

انسانى محافظة على مشاعر انسان آخر أو الانسانية الشخصية ، فانه فى قصة « القطار الأزرق » ـ مجموعة صورة فى الجدار ـ يبين سببا آخر أقوى من الأسباب التى ذكرها وهو الحب الأبوى .. الشعور الخفى بالحنان الأبوى الذى يربط بين الأب وابنائه برباط قوى .

وهذا حب الهى وضعه الله فى الانسان .. ولا يمكن أن يموت أو يضعف بمرور الزمان .. فكما يقال الدم يحن .. هذا الاحساس الخفى يؤثر فى سلوك الانسان دون أن يشعر ويعرف حقيقة هذا الساوك عندما يكشف عن بصيرته ، ففى هذه القصة يلقى بطل القصة الرحالة بفتاة جميلة فى القطار المسافر الى ليننجراد .. وبطريقة البدوى الفنية فى التمهيد للحدث وقدرته فى الكشف عما يجول فى خواطر شخصياته يبين لنا مدى الرغبة المشتعلة فى البطل للاستمتاع بصديقة القطار أو اى امراة أخرى يسوقها الحظ اليه كمصدر محترف فلنستمع اليه وهو يفصح عما فى نفسه « كنت أتحرق شوقا أن أضم كل انثى تستجيب لرغبتى .. ولما اصبحت على قيد ذراع واحد منى والباب مغلق والسكون يخيم وكل شىء يهيىء النفس لاشتعال العواطف .. الفيت بنفسى باردا ميت الاحساس . ميت العواطف .. لا احس بأى احساس مما يشعر به الرجل نحو المراة عندما يخلو بها .. وتدفقت بدلها عواطف جديدة فى كيانى كله

احسست لأول مـرة عواطف من الحنـان الخـالص والعطف الشديد » .

فهذا الاحساس الجديد الذى احس به ابراهيم بطل القصة جعله لا يلمس نادية صديقة القطار .. ولم يشعر برغبة فى مغازلتها ولم يفـكر قط رغم ما يتصف به من صفات كمصور فى أن يأخذ لها صورة « أصبحت أحترم هذه السيدة وأحبها » .

ويكشف الكاتب بعد ذلك عن كنه هـذه العاطفـة الجديدة تجاه نادية عن طريق قارئة الكف التى تخبره بما تراه فى كفه « لقاء فى سفينة بين عاشقين .. وأرى بحر مرمرة .. والبسفور .. وهاج البحر .. دوت القنـابل .. وأرى فتاة جميلة ثمرة لقـاء .. وعاشت والتقت بوالدها بعد سنين وسنين » .

وذهل ابراهيم عند سماعه لمـا سمعه .. وعـاد الى ذكرياته .. ويسأل نادية عن والدها فتخبره بأنه توفى ، ويسألها عن امها فتخبره بانها تعيش معها فى فنلندا ، ويسألها عن اسمها ، فتخبره بانها تسمى صفية خير الله ، وهنا يرتعش قلبه عند سماع الاسم واخذ يفكر ويفكر .. وتخبره نادية بأن صورتها معها فى الحقيبة .. فيقول لها انه سيراها فى الصـباح ولكن يتركها وهى نائمـة .. وتسمعه يقول « ان القطار الأزرق حملنى عبر السنين الى

بعيد وانا لا ادرى .. لا شيء ينسى .. وكل ما يحدث فى حياة الانسان فهو لاحق بوجوده » .

ونرى البدوى فى قصة أخرى وهى « الظرف المغلق » يقدم نموذجا آخر للنبل والشهامة .. وللأمانة . ففى مترو مصر الجديدة ليلا .. وسط الزحام الشديد .. تختاره سيدة دون الجالسين بجانبه وتعطيه ما تحمله حتى حقيبتها .. ويحدث حريق فى المترو .. ويتفرق الركاب وتضيع السيدة فى الزحام ولا يلتقى بها بطل القصة .. ويبحث عنها كثيرا فلا يجدها .. وتمضى فترة طويلة لا يعثر عليها .. وفجأة يقابلها .. ويخبرها بما فعله من أجل العثور عليها ليوصل الأمانة التى ينوء بحملها .. فأخبرته بأنه يوجد ظرف مغلق فى الحقيبة به العنوان .. فاخبرها بأنه لم يشأ ان يفتح الظرف .. ويفترق الاثنان كل فى طريقة .

وفى قصة « الورقة المطوية » ــ مجموعة الظرف المغلق ــ يتقدم البطل بدافع الخير لانقاذ سيدة مسافرة من الاسكندرية الى القاهرة .. فقدت نقودها .. فيقطع لها التذكرة ويعطيها لها فتشك فى نواياه ولكن تصرفاته بعد ذلك فى القطار طمأنتها وعرفت انه انسان نبيل .. لا يقصد سوءا .. فى القاهرة تطلب منه عنوانه لترد له ثمن التذكرة والتاكسى . يرفض الرجل ولكنها تصر .. وأمام اصرارها أخرج من جيبه ورقة وقلما وانتحى جانبا

ليكتب العنوان ثم طوى الورقة .. وأعطاها لها .. ولما ذهبت الى منزلها فتحت الورقة .. فوجدتها بيضاء وليس فيها حرف واحد « وابتسمت . وصورة الرجل الغريب تتضخم أمامها وتعظم حتى ملأت جوانب البيت كله » .

ولم يكتف الكاتب بتبيان أثر هذا التصرف النبيل من الرجل الغريب بابتسامة فقط ولكن عمق هذا الأثر فى نفسية المرأة ليعطى له دلالة أقوى ولقد اكتشفت الفرق بين هذا الرجل الغريب وبين زوجها فأحست لأول مرة فى حياتها بالكراهية الشديدة له واحتقار من غير حدود .. كانت تقارن بين صفاته الخلقية ، وصفات الرجل الآخر .. فقد لمست لأول مرة فى حياتها النبل والشجاعة فى انسان » .

ومثل هذا الرجل نجده فى قصة « الورقة المطوية » ونراه فى قصة « الشجاع » ــ مجموعة الظرف المغلق ــ رجلا يعرض نفسه للموت فى الترولى ليحمى سيدة من نشال هاجم الركاب .. ويدخل فى معركة دامية .. تنتهى بسقوط مجهول قتيلا . ويحمى الرجل الشجاع عرض السيدة .. من النشال .

هذا النموذج مثال الأخلاق والشجاعة .. لأنه

بشعور داخلى متكون من عاداته وتقاليده التى تفرض حماية المرأة والدفاع عن عرضها .

وهذه الايجابية والانسانية التى نراها فى هذه الشخصيات التى عرضناها نراها فى بقية المجموعات الأخرى كما فى قصة « الشيطان » مجموعة عذراء ووحش — رغم وجود دياب القاتل الشرير الذى يريد أن يقتال الصراف ليستولى على النقود التى معه نجد بجانب هذه الشخصية شخصية أخرى خيرة وهى « رمضان » القهوجى الذى يدرك ما يدور فى ذهن « دياب » فيضع له مخدرا فى الشاى .. ويروح دياب فى النوم ويفلت الصراف منه .

وفى قصة « الشيخ تمام — مجموعة عذراء ووحش » نجد بطله وهو شاب ثرى انسان مستقيم تقيم معه سيدة أرملة تقوم على خدمته .. ويحذره الشيخ تمام من هذا التصرف المؤدى الى الخطيئة فيقول الشاب « انه مجرد عطف انسانى .. فهذه الفتاة .. مات زوجها فى حادث وهى فقيرة ومسكينة ولو خرجت الى الطريق .. فانت تعرف مصيرها .. ولهذا جئت بها الى هنا لاصونها من الدنس » .

فيطمئن الشيخ تمام لمعرفته بأخلاق الشاب معرفة

جيدة .. واذا تحدثنـا عن التكنيـك الفنى فى قصص محمود البدوى ، نلاحظ .

١ - أن معظم قصصه يسوقها بضمير المتكلم وهذا يمكن الكاتب من استبطان الشخصية وتحليلها وفى البعض الآخر يستخدم ضمير الغائب ليطلعنا على عوالم شخصياته والجوانب الخصبة فيها .

٢ - أن معظم أبطال قصصه بدون أسماء لتكون رمزا ودلالة أرحب وأعمق ويقدمها كأنماط انسانية تتكرر فى المجتمع لا تنتهى .

٣ - أن الكاتب كما بينا يمهد للحدث ويهيىء الجو له بسلامة وتنسيق يستجيب مع المواقف بشكل يثير الشوق ويجذب القارىء لمعرفة النهاية .

٤ - أن الكاتب ينهى قصصه نهايات مختلفة .. قد تكون نهاية عادية ، وقد تكون نهاية مفاجئة ولكنها منسجمة مع نسيج القصة ولا تبدو مقحمة وغريبة .. وقد تكون نهايات مفتوحة يشوبها شىء من الابهام معتمدا على ذكاء القارىء وليدفعه أيضا الى التفكير للوصول الى النتيجة التى يهدف اليها . وسنتناول هذا الموضوع ايضا فى دراسة مستقلة .

والحقيقة ان الكاتب الكبير محمود البدوى رائـد القصة القصـيرة الذى وهب نفسه لها وعاش راهبا فى محرابها يحتاج الى العديد من الدراسـات لتكشف عن الجوانب المتعددة التى تتضمنها قصصه .

ان محمود البدوى بطبعـه الهادىء وحساسـيته المرهفة يجب أن يبعد عن الضوضاء وعن الشعارات الكاذبة ويعمل فى هدوء واخلاص ويترك العمل هو الذى يفرض نفسه ويؤمن تماما بأنه هو الذى يعيش ويخلد صاحبه .

عالم سعد حـامد القصصى

لكل كاتب عالمـه الخاص الذى يعيش فيه ويظل ظله ممتدا فى اعماله ولا يمكن الوصول الى سره وسـمائه الا بالمعايشة الكاملة لأعماله كلها حيث تكتمل الصـورة اكتمالا يكشف عن أفكار الكاتب وعالم الكاتب سعد حامد عالم ليس سهلا كما يخيل لأول وهلة كل من يقف على بابه او يلجه بسرعة .. ولكن القراءة المتأنية المستبطنة للأعمـال من الداخـل تكشف عما يموج به عالم هـذا الكاتب .. وهو عالم ليس بسيطا أو ساذجا كما يتصور البعض ولكنه عالم متشابك يموج بأفكار مختلفة تحمـل فلسفة الكاتب فى الحب والموت والحياة والسياسة واذا كان هذا العالم يبدو عالمـا ورديا تستنشق شخصياته فيه الحب مثل الهواء فهذا ليس الا شكلا يصـوغ فيه الكاتب مضامينه القصصية وان بدت قصصـه متشابهـة ولكن المدقق الفاحص يعرف انها تختلف اختلافا بينا فالكاتب فى كل قصة يضع فكرة جديدة .

والمدهش حقا ان يجد فى هذا العالم القصصى ان الكاتب يكون لاذعا وقاسيا فى مواجهته للحقيقة وهـذا يختلف مع مظهره الهادىء وسمته الأنيق .. وهـذا يكشف عن اعماقه الثائرة كالبركان .

وقبل الولوج الى عالم سعد حامد القصصى نود ان نقدمه للقارىء مع اشارة الى الأحـداث البارزة فى حياته والتى يمكن ان تؤثر فيه وينعكس هذا التأثير على أعماله القصصية لقد احترف سعد حامد الكتابة عـام ١٩٥٤ حيث نشر فى جريدة الجمهورية وترجع رحلته مع الكتابة الى سن مبكرة .. فقد بدأ الكتابة عام ١٩٤٥ وهو طالب بالمدرسة الثانوية ونشرت أولى قصصه بمجلة الـ ٢٠ قصة التى كان يصـدرها محمود كامل المحامى .. ويمكن ان نقول أن سـعد حامد اتجه بكتاباته الى الرومانسـية فى كتاباته الأولى بحكم سنه ولكن نرى بعد مرحلة الشـباب أنه اتجـه الى الواقعـة خاصـة عندما بـدأ الاحتراف عام ١٩٥٤ لسببين :

الأول : اتجاه الأدب فى ذلك الوقت الى الواقعية فى بـدء الثورة حيث اتجهت الى الاشـتراكية والاهتمـام بالانسان ومشاكله ، والثـانى يرجع الى تأثره بأعمـال تشيكوف وجوركى وموباسان مثل معظم كتاب جيله الذين امتد اليهم اثر تشيكوف ولهذا نرى أن جميع قصصه منذ هذه الفترة حتى الآن يستمد أحداثها من الحيـاة .. من

الواقع الذى يعيشه ولذا نتعايش معها بسرعة ونتآلف مع شخصياته ونشاركها احساساتها ويرجع ذلك الى نجاح الكاتب فى تصوير القصة ورسم الشخصية رسما دقيقا .

ونتقل بعد هذا الى حادثين هامين كان لهما أثر كبير فى حياته وفى قصصه .. فقد توفى والده وهو فى السادسة من عمره ثم انتقلت والدته الى رحمة الله وهو فى الخامسة عشرة وهاتان الحادثتان تركتا بصماتهما الحزينة عليه وكان هذا الحزن دافعا الى الكتابة كوسيلة من وسائل التنفيس البناءة بدلا من تحوله الى وسيلة اخرى تجريبية تدمر الانسان وتقضى عليه والأم يبدو ظلها على معظم قصصه فنجد حديثه عنها فيه حب وتقدير وخشوع باعتبارها تمثل النموذج المثالى عنده فهى نبع الحنان والحياة .. وشاطىء الأمان له عندما تضيق الحياة عليه الخناق .. ولذلك فى حديثه عن المراة اما وزوجة او حبيبة .. نجده عندما يتحدث عن الأم يبين مكانتها العظيمة وينزعج بشدة عندما تخطىء ويصدر حكمه فى قسوة على الأم الخاطئة لأنها فى نظره تكون لوثت اشرف كلمة .. ويبدو تأثره بأمه واضحا فى رواية « البحث عن النسيان » التى تصور رحلة البطل مع القلق نتيجة الحوار العاطفى الذى يعشش فى اعماقه رغم زواجه لأن الزوجة أو بيت الزوجية وفر له الاستقرار المكانى .. هى شاطىء

الأمان الذى يلجأ اليه هربا مع ضربات الحياة .. فزوجته تشبه امه فى اداء وظيفتها ولذلك راح يبحث عن الحب لارضاء هـذا الشبق العاطفى .

ان الحب هو المحور الأساسى الذى ترتكز عليـه أعمال الكاتب لأنه يراه شيئا ضروريا للانسان .. فهو يرى أن الانسان بدون حب لا يعيش .. ولا يتصـور أن يرى مجتمعـا يعيش بدون حب .. الحب يمثـل عند بعض شخصـياته شاطئـا تانس اليه عندما تتـأزم الأمور .. ويتمثل ذلك فى حب الأم أو الزوجـة او الحبيبـة .. والكاتب أيضا يهتم بالعلاقة بين الرجل والمراة فى صورها المختلفة .. المراة الأم .. « الزوجـة .. الحبيبـة .. العشيقة .. ابنه الليل .. وهو فى كل صورة من هـذه الصـور يقدم جانبا من جوانبها الأخلاقيـة ويكشف عن سلوك المراة ويسبر غورها .. ويكشف عن عالم المراة المتشابك يكشف عما فيه من حب وكره .. وسيطرة .. وخسة وخيانة .. وهـذه الكلمـات التى جاءت على لسان بطل قصة « الخوف من الحياة » تبين نظرته الى المراة عموما ، وهى نظرة أساسـية تمثل محور تفكيره « وكان يعتقد أن الرجل الذى لا يحب المراة هذا الحب ، ويحترمها ويقدرها ، هو رجل غير طبيعى وشاذ لأن المراة هى الأم .. هى أصل الوجود .. ومصـدر الحياة ، وينبوع الحب والحنان المتدفق الذى لا يذهب ابدا » .

وكذلك يكشف ايضا عن عالم الرجال وما فيه من سلوك وتصرفات .

وشخصيات سعد حامد قلقة دائما .. تحس بالضياع .. وقلقها هذا لا يأتى من فراغ ولكن يأتى انعكاسا لتناقضات المجتمع او فشل فى حب .. أو فشل فى تحقيق أمنية .. وهذه الشخصيات احيانا تغرق فشلها هذا فى الخمر او فى الليال الحمراء مع بنات الهوى، واحيانا أخرى تستنقذ الشخصية نفسها أو ينقذها صديق ناصح أو موقف تتعظ به فيكون رادعا لها .. واذا كان هناك من شخصيات ما تعانى القلق فهناك شخصيات أخرى تحب الحياة .. وهى ليست كلها شخصيات متهاوية متهافتة تسحقها الأزمات سواء كانت عاطفية أو اجتماعية أو اسرية منها شخصيات تمتلك القدرة على الخروج من ازمتها وتمتلك الارادة وبجانب ذلك كله تحمل بين جنبيها قلبا ممتلئا حنانا وحبا يجعلها رحيمة حنونة .. الكاتب يقدم نماذج انسانية تحمل عناصر الخير والتطلع الى الحياة التى سرعان ما تتغلب على الجانب السىء عندما تتوفر لها الظروف الصالحة .

واما من ناحية الشكل القصصى فقد اختار سعد حامد الشكل البسيط للقصة المعتمد على عرض الحكاية من خلال السرد والوصف فى اسلوب شاعرى رقيق والفاظ غنية .. وهذا الشكل البسيط سهل ممتنع

لا يقدر عليه الا الكاتب المتمرس بالكتابة ويمتلك قــدرة فنية اكتشفها من خلال خبرته الفنية .. لقد اصبح هذا الشكل البسيط سمة من سمات سعد حامد بما اغفى عليــه من قدراتــه الفنيــة فاســتنفذه من السذاجــة والسطحية .. والملل الذى يمكن ان يتسرب الى القارىء لوقوع القصــة فى السرد الطويل الذى يفسد القصة .. ولذلك نرى سعد حامد عنده حساســية نحو اختيــار الفاظه وتكوين جملة لأنه يرى انهما شيئا اساسيا فى بنــاء قصته .. كما انه يتحكم فى القصة ويسيطر عليهــا حتى تخرج فى النهاية فى بناء فنى متين .

وكما يبين الكاتب وجهــة نظره فى المراة عموما ثم فصل بعد ذلك الصور المختلفة لها من خلال المواقف التى تتعرض لها كما سيأتى الحديث عنها .. يبين وجهــة نظره فى الحياة بالنسبة لشخصياته ، فالحياة مثل المرآة المشروخة « ما أشبه الدنيا بهذه المرآة الباهتة المشروخة عليها تنطبع صورة الوجه لحظة .. ثم يمضى صاحبه غير مخلف عليهــا أثرا » (المرآة المشروخــة ــ الخوف من الحياة) وفى مقابل هذه النظرة نجد نظرة اخرى تؤمن بأن سنة الحياة فى الاستمرار وعدم التوقف ولذلك « الخير كل الخير فى أن يعيش الانسان المــاضى ، ولا يتوقف فى مكانه والحيــاة لا تتوقف أبدا » وتطبيقا لهــذه النظرة التفاؤلية نجد بطل قصة « المرآة المشروخة » يتغلب على

حزنه لموت زوجته ويعيش حياته وكذلك الدكتور رمزى فى قصة « وجه فى المترو مجموعة الخوف من الحياة الذى فقد بصره فى حادثة لا يستسلم لليأس ويتكيف مع حياته الجديدة بعد فقد بصره ولا ينسى الكاتب أن يبين دور الزوجة المخلصة فى مساعدة زوجها مثل زوجة الدكتور رمزى التى تقف بجانبيه مؤدية دورها معه على اكمل وجه .. ونرى هذا التقاضى المخلص فى قصة « زهور ذابلة » مجموعة الخوف من الحياة ـ فالمرضة تحب مريضها ولكنها لا تكشف عن هذا الحب لحبيبها التى كان يراها انسانة جامدة .. متبلدة المشاعر « انها انسانة جامدة تؤدى عملها فى اخلاص لكنها لا تشعر بالآم قلبه .. وبالحنان الذى يعذبه .. وبالشوق الذى يؤرقه .. نحو فتاته المجهولة .. وما شأنها بكل ذلك . انها كالآلة التى تدور لا تحس ولا تشعر بعواطف الناس وخفقات قلوبهم ويكتشف نداء الكاتب عن الطرف الآخر وهو المرضة وما تحمله من حب لهذا المريض فى كلمات قصيرة تقولها بعد ما غادر المريض المستشفى « ليته يعلم .. ؟ ليته يعلم اننى صاحبة باقات الزهر .. ولكن هل كان يقدر هذا الحب .. لا اظن .. لا ريب انه كان سيلهو بقلبى ويحطمه ثم يتركنى وينطلق الى الدنيا الواسعة » والحب كما قلنا هو عنصر هام عند هذه الشخصيات وفقدها له يؤثر على نفسيتها ولكن منها التى تتحكم فى قلبها وفى سلوكها ومنها التى لا تستطيع فتقع

نهبى للقلق والملل والعذاب كما فى قصة « لماذا أعيش »
فبطلها كاتب متخصص فى الكتابة عن الحب وعن آلامه
وعذاباته .. فالحب لعبته الأثيرة ورغم ذلك يعيش بعيدا
عنه .. يعيش فى جدب فزوجته لا تعطيه الحب المنشود
لانشغالها فى خدمة الأولاد وواجبات البيت « هذه الزوجة
تصر اصرارا قاتلا على تجاهل عاطفة الحب .. وتعتقد
أنها كلمة زائفة لا معنى لها .. وأن الحياة كلها أكل وطبخ
ومسح وغسيل .. فهو يعيش معها مرغما من أجل
أولاده » واذا فقد الانسان الأمان فى بيته فقد الأمان فى
حياته .. انه يرى البيت الظل الذى يلجأ اليه ليستظل
به شقاء الحياة .. فالشقاء فى كل مكان .. فى البيت ..
وفى العمل .. وفى الشارع .. وفى المقهى .. وفى
الحانه .. وكل يوم يصلب مسيح جديد ويعذب ..
وليست هناك يد واحدةتمتد لتنقذه من عذابه » ..
فلماذا يعيش الانسان اذا كانت حياته شقاء فى البيت وفى
خارج البيت هنا يشعر الانسان بالغربة وينفصل عن واقعه
ويبحث عن وسيلة للخلاص قد يكون بالموت سريعا
أو بطيئا لفقدانه التوازن النفسى لفقدانه الحب الحقيقى
الذى يكتبه للناس وينادى به .. انه لا يطلب شيئا من
الحياة اكثر من حياة كلها حب .. امراة تحبه تمنحه
الحب والحنان كلما احتاج اليهما .. ويبادلها حبا بحب
وحنانا بحنان .. وليس مجتمعا أشبه ما يكون بغابة

قانونها الافتراس والنهش واعتداء القوى على الضعيف .. انه يتمنى أن يعيش فى مجتمع يخلو من الحقد والدس وتدق دقاته مع دقات قلبه .. فتمتزج دقات القلبين فى سيفونية خالدة » .

فالكاتب فى هذه القصة يكشف عن التناقض الذى يمكن أن يعيشه المثقف فى بيت يفتقد صاحبه الى الحب الذى ينشده الزوج المثقف أو فى مجتمع ينخر فيه السوس .. ان بطل القصة أمام هذه الضغوط جميعها لا يرى وسيلة للخلاص الا الموت .. اذ ما معنى الحياة بدون الحب بين الانسان واخيه الانسان .. ولا يمكن أن يزدهر هذا الحب الا فى جو نقى ومناخ اسرى واجتماعى وصحى ولأن هذا الجو الانسانى غير مفتقد فى الواقع فان بطل القصة يبحث عنه فى الأحلام أحلام اليقظة مع سحائب دخان المخدرات « ان أسعد لحظات حياته هى تلك التى يعيشها فى غيبوبة المخدر أو فى نشوة الكأس .. ان أسعد الناس فى هذه الدنيا هم المخدرون .. والمخمورون والجهلاء » .. ويقول عن هذا العالم المخدر أيضا « فى هذه اللحظات تموت كل همومه ومتاعبه والآمه وينسى كل شىء .. ينسى حياته الشقية ، وطموحه ، ومثله العليا والحياة الجميلة التى يحلم بها .. يصبح كل شىء سوى اللحظة التى يعيش فيها منتشيا غاية النشوة .. ذاهلا عن كل شىء .. حتى عن الطريق التى يسير فيها ..

انما يمضى كما تحمله قدماه .. فى عالم من صنع يديه ..
فى عالم الضياع المشبع بكل الحواس » وأمام هذا الشقاء
الذى ينوء به الا أن يعيش وحيدا مع نفســه ويتحول
الوجود هذه الى « مجرد نكته سخيفة مكررة ، ويحس
بأنه مطعون فى القلب .. طعنة دامية .. وقلبه ينزف
دما لا يجف » . ويربط الكاتب بين وجود الحب أو فقده
عند الانسان الى الظروف الاجتماعية كما بين فى القصة
السابقة ويؤكد هذا المعنى فى قصة « الخوف من الحياة »
التى يكشف فيها عن أثر الاستقرار الاجتماعى وما ستنبعه
من أمان يساعد على ازدهار الحب فى النفوس .. ولكنها
عندما يكون المجتمع مسرحا للتناقضات والشعارات الزائفة
وفريسة للطفيليين يفقد الانسان السوى نفسه لاهتزاز
قيم المجتمع .. وعند هــذه النقطة ينحدر الى مساوى
التهلكة كوسيلة للخلاص فكما وجد بطل قصة « لمــاذا
أعيش » البديل فى المخدرات نرى بطل قصة « الخوف
من الحيــاة » الخــلاص فى الخمر ليغرق فيهــا حزنــه
وكآبته .. ليتخلص من عبء الشقاء الثقيل بعد ما فقد
الأمل فى المجتمع وفى النــاس » ما دامت الحيــاة كئيبة
موحشة مملة .. عبء ثقيل .. ليست عليه وحده بل
على جميع الناس .. والمجتمع مريض لا يرجى له شفاء ..
والناس كلهم مرضى .. بعضهممريض بالهوس الدينى

وبعضهم بالهوس الجنسي وبعضهم بالانفصام والاكتئاب والقلق النفسي والادمان وفى كل مكان يجد شيعا وجماعات وفرقا تتضارب وتتحارب وتتقاتل .. يجد المتزمتين الذين يكرهون كل جديد ويتعلقون بأذيال الماضى البغيض .. ويجد المقلدين الذين يكرون وراء العبث واللامعقول .. ويجد اليساريين المتطرفين الرافضين بكل القيم .. ويجد الرأسماليين الذين يخافون على ثرواتهم .. والاشتراكيين يدعون للاشتراكية .. ويجد الذين يهاجمون الاشتراكية ويقولون انها وزعت الفقر على الجميع .. يجد المنافقين والمرتشين واللصوص والمستغلين الذين يدينون بكل مبدأ ويجد الملحدين المتحررين من كل دين وعقيدة .. يجد الذين يحبذون الضغط وكبت الحريات الشخصية ويشايعون سياسة الحديد والنار .. ويجد الذين يريدونها حرية وفوضى لا ضابط لها .. يجد الساخطين على كل شيء .. على الماضى وعلى المستقبل .. واليائسين من اى أمل فى الاصلاح .. كل هؤلاء يبحثون عن طريق هذا الضرب وهذا الضجيج وهذه الثرثرة عن نسيان حياتهم البغيضة التعسة الكريهة .. وكل هذا نتيجة محتومة للفساد والضغط والكبت الذى يئن منه المجتمع ، والحياة البائسة التى يعيشونها » .

فالكاتب يحلل التناقضات التى تمزق المجتمع وانعكاس ذلك على الانسان ويبين فى وضوح وحده ان

المجتمع الفاسد يذيل فيه الحب وتضيع القيم .. وتبعا لذلك يضيع فى هـذا البحر المتلاطم الانسان .. ويتحول الناس الى « مرضى بالاكتئاب والقلق والضغط والسكر والأنيميا .. واينما تلفت يرى رجالا يحاولون الهرب من حياتهم بشتى الطرق .. بالمخدرات والخمر وبالجلوس فى المقاهى ليل نهار ويلعبون الورق » .

هكذا يبين الكاتب اثر الظروف الاجتماعية والسياسية على الانسان ، والكاتب فى قصصه متعاطف مع ابطاله المنسحقين أمام الظروف الأقوى منهم المحيطة بهم ولا يستطيعون الدفاع عن انفسهم وتغييرها الى الأفضل.. متعاطف معها لأنها شخصيات تصارع من أجل قيمة سامية هى الحب .. الحب فى صوره المختلفة .. حب الله .. حب الوطن .. حب المراة اما أو أختا أو زوجة أو عشيقة .. وعندما نفقد حبا من هـذا الحب نغرق فى بئر الضياع والتمزق وهذه هى مأساة الانسان فى هذا العصر المادى انه يرفض بشدة وعن اقتناع هـذه الحياة .. انه بموته أو ضياعه يعتبر ادانة لهذا العصر الغاية التى أصبح فيها الانسان أحقر من الحيوان لأن الانسان يقتل أخاه الانسان غدرا ولا يرعى مودة أو العيش والملح كما يقول المثل أو يخونه أو يسرقه ففى قصة « الانسان فالصديقان يعيشان فى سعادة لفتت نظر بطل القصة الى حياتهما المتآلفة المنسجمة » كنت أراهما

دائما .. وهما يضحكان معا ويأكلان ، وقد بدت على وجههما سمات الرضا بالواقع .. وكنت افكر احيانا فى حياتهما الفارغة الموحشة ، وفى اى شىء يفكران وما آمالهما فى الحياة ، وهل يعرفان كلمة اسمها السعادة » ولكن .. ذات مساء ، رأى شيئا جزعت له نفسه وأحس بالمرارة .. رأى أحد الرجلين ينتهز فرصة غياب زميله ويسرق من بضاعته .. وكررها مرات .. ثم حضر الزميل وأكلا معا .. ثم قام السارق ونام فقام الزميل وسرق من صديقه وكررها ايضا مرات .. ثم اغلق الدكان وقام جانب صديقه كأنه لم يفعل شيئا .

فالكاتب فى هذه القصة بأسلوبه البسيط يعبر عن أساه ومرارته تجاه ما رآه من غدر الانسان بأخيه الانسان .. انه يدين الانسان الخائن « بخيانة الانسان وطمعه » .. بهذه الكلمات القليلة يعرى الانسان أمام نفسه .. ومثل هذا الانسان الضعيف مرفوض من اناس قلوبهم تعرف الصديق .. أناس يمتلكون عناصر الارادة التى تنقذها فى لحظات الضعف التى يفقدون فيها كل شىء حتى انفسهم كما فى قصة « الرجل الذى اكرهه — مجموعة الرجل الذى اكرهه — فشوقى رجل يتغلب عليه عنصر الشر الكامن فى نفسه .. عبد لشهواته .. وقد صور الكاتب هذا الجانب عندشوقى بصديق اسمه « عبده الحيوان » الذى يسيطر على شوقى لضعف ارادته » حاولت كثيرا لكننى لم افلح .. كان

يلاحقنى رغما عنى . ويطـاردنى فى كل مكان بحديثـه المعسول الساحر فيجرنى خلفه كالسائمة .. صدقنى .. صدقنى .. كثيرا ما ثرت عليه وقاطعته أياما ثم أجدنى مشدودا اليه او أراه فجأة امامى يصالحنى . ويأخذنى معه لنقضى ليلة ننسى فيها متاعب الحياة ومللها وتفاهتها « وبعد هذا الصراع المحتدم فى أعماق شوقى تنتهى حياته بالانتحـار .. وينقل الملل الى ضحية أخرى فى قصـة « نهاية السباق ــ مجموعة الرجل الذى اكرهه ــ فنرى السيد عبد اللطيف رغم حياته المستقرة ماديا .. وهـذه الحياة التى حققها بعد كفاح مرير وحرمان النفس من متع الحياة .. يشعر بالمرارة والملل من حياته ويكتشف أن الحياة تافهة » لا تستحق كل هذا التعب .. وكل هذا الجهد الذى تبذله فى سبيلها .. هـذا هو حصاد حياتى .. مرضى وعزلة وأحزان ملحة » لم ينفعه المـال الذى جمعه لم يبدد ما يشعر به من كآبة وحزن « ان حياتى كئيبة ومملة .. القلق يؤرقنى ، والملل يلازمنى والاحساس بعدم جدوى الحياة يسيطر على .. اقضى وقتى فى فـراغ دائم .. فى الليـل تجثم على الهموم ، وتطاردنى الآلام .. ما جدوى حياتى الآن ؟ انها حيـاة خالية من كل ما يبهج حياة كئيبة .. حقيقة انا ثرى وأملك المـال الذى أستطيع أن اشترى به أى شىء ولكن ماذا ينفعنى المـال وانا مريض » .

الكاتب فى هذا التحليل يضع الانسان أمام نفسه .. فى جلسة محاسبة مع النفس بعد فوات الأوان .. هادفا من هذا الموقف الذى يضعه الكاتب فيه ان يقول ان على الانسان أن يستمتع بحياته .. أن يعمل لدنياه حقا ولكن عليه الا ينسى نفسه حتى لا يضيع فى دوامة الحياة وموقف السيد عبداللطيف هذا عكس موقف بطل قصة فرصة للسعادة — مجموعة الرجل الذى اكرهه — لقد اراد أن يبحث عن فرصة للسعادة بالزواج من « محاسن » لتضىء سنوات عمره التى بددها غارقا فى ملذاته .. أراد بطل القصة أن يسرق لحظات السعادة بعد ما فاته قطار العمر .. اراد ان ينقذ نفسه من الدمار حتى لا يكون مثل السيد عبد اللطيف بطل قصة « السياق » ولكن «محاسن» تصدمه بالحقيقة المرة التى يحاول ان يتناساها « اننى يا عزيزى لا اصلح ممرضة لرجل عجوز » فهذه الشخصيات فقدت الحب عندما نسيت نفسها واستسلمت لشهواتها ومطامعها وانانيتها .. فكانت نهايتها اما الانتحار أو غرقا فى الخمر والمخدرات لخلق عالم جديد تعويضا عن واقعها الذى فقدته لضغطها .. وتكون النتيجة أن هذه الشخصيات تفقد الواقع والحلم معا ..

ورغم شغف شخصيات سعد حامد بالمرأة ومحاولاتها الدائبة لخلق جسور التفاهم بينهما لخلق عالم الاستقرار الذى ينشدونه .. ورغم ان هذه الشخصيات

تبدو متهافتة مدلهة بالمراة يحركها الحب العذرى أحيانا ويحركها الشهوة احيانا اخرى فاننا رغم هذا نجد شخصيات تتمتع بالضمير الحى الذى يمثل عندها صوت المجتمع المحكوم بالعادات والتقاليد .. ويتمثل ذلك فى « امراة وحيدة » ـ الحذف من الحياة ـ فبطلها يهرب من أرملة جميلة وحيدة تبحث عن الدفء والحنان خوفا عليها وحفاظا على رباط الزوجية المقدس ويعترف للأرملة بأنه يهرب « خوفا من قهر سلطان الحب » وكذلك فعل « عادل » الشاب الهادىء .. فقد هرب من فتاة مراهقة تطارده فى الاسكندرية ولكن حفاظا على علاقات الود بينه وبين والديها يهرب منها خوفا عليها الى القاهرة وبعد ذلك يقرأ خبر انتحارها .. فظل وجهها يطل عليه فى كل لوحة يرسمها .. وكذلك فعل رأفت فى قصة « الجفاف » .. لقد فاته قطار الزواج .. ويلتقى بفتاة صغيرة فى الاتوبيس .. ويتفقان على موعد للقاء .. ويذهب فعلا حسب الموعد المحدد ولكن يتراجع عن رغبته « لقد تفجرت فيه مشاعر الأبوة ، واحس نحوها شعورا غريبا يشبه الى حد كبير شعور الأبوة الذى لم يحس به من قبل ، فسحب نظراته بعيدا عنها وتركها واقفة تنتظر » دون جدوى .. وفى قصة المجهول « يلقى الكاتب درسا قاسيا على كل انسان مبتذل التصرفات يمتهن نفسه ويمتهن المراة ، فبطل القصة يقدمه الكاتب فى اول

القصة بأنه انسان شغوف بالمرأة ، ويهيم حبا بهـا .. الأمر الذى جعله يطارد اى امرأة فى الشارع .. وهـذا التقديم الفاقع لشخصية بطل القصة يهدف الكاتب من ورائه أن يبين مدى التغيير الذى سيحدث فى شخصيته فى نهاية القصة .. عندما يطارد امرأة فى الشارع حتى بيتها وهى لا تنظر اليه .. وعند البيت يقابلها طفلاها ويخبراها بأن أختهما سنية » ماتت .. لقد قصد الكاتب من هذه النهاية الحادة ان يحدث الصدمة الكهربائية الشديدة ليغير الشخصية فبعد ما كان « الحب هدفه الوحيد والمغامرة — لذته — وكان قلبه يخفق كلما رأى امرأة جميلة » أصبح انسانا آخر .. غيرته نظرات المرأة المكلوبة التى شيعته بالاحتقار « وفى هذه اللحظة نظرت اليه المرأة نظرة لن ينساها بقية حياته .. اتسـعت عيناها وتألقت بالدموع .. وكان فى عينيها احتقار رهيب وكراهية ومقت .. ثم تحركت مع طفليها ودخلت الى البيت » .

بهذه النهاية الصامتة الحزينة المكثفة التى أغنته عن صفحات يمكن أن تكتب فى مثل هـذا الموقف فالكاتب بقدرته الفنية ينهى القصـة هذه النهاية الحادة القاتلة .

ونظرة الكاتب الى المرأة نتعرف عليها من خـلال بعض القصص التى تنـاول فيهـا المـرأة فى مـواقف مختلفة .. فهو لا يقر الخطيئة من زوجة لا تحترم الرباط

المقدس مهما كانت الظروف التى تقابلها .. فى قصة « الثوب الأسود » يكشف الكاتب بذكاء من خلال معالجة فنية لموقف يفجره الكاتب بين الأرملة والشاب المعجب بها .. وبعد ضغط من ناحية الشاب تضعف الأرملة .. ثم تغادر الحى الى حى آخر هربا من الخطيئة بعضها الندم القاتل .. وفى قصة « زيارة فى الليل » نجد الكاتب يدين الخطيئة عن عمد ويوقع العقاب بصاحبة الخطيئة.. فالزوجة العجوز الثرى وهو على فراش الموت .. تخونه مع الطبيب المعالج لتنجب طفلا حتى لا تضيع الثروة من يديها .. وتتحقق الأمنية .. ولكنها تموت بعد مولد الطفل .. ولا تستمتع بمولودها جزاء خطيئتها .

فى مقابل هذه القصة يقدم نموذجا للزوجة المخلصة كما فى قصة « الماسة » مجموعة الرجل الذى اكرهه ــ والماسة هنا ترمز الى الزوجة الوفية المؤدية واجبها .. فى هذه القصص التى عرضناها نجد سعد حامد يربط بين الحب والظروف الاجتماعية .. انه يبين المناخ الاجتماعى والنفسى الذى تعيش فيه الشخصيات حتى لا تبدو لنا انها شخصيات تأتى من فراغ .. أو شخصيات هلامية غير محددة الأبعاد فيشعر القارىء بأنه بعيد عنها لا يربطه بها رابط ولكن الكاتب يراعى دائما أن يحدد الشخصية والظروف المحيطة بها لتتبين أسباب كآبتها ومللها . ولأنه يأخذ من الواقع الذى نعيشه فاننا نحس

بالارتباط بها والقرب منها .. ويؤكد الكاتب على الظروف الاجتماعية التى تمر بالانسان لما لها من أثر كبير فى تشكيل حياته وما تحدثه من تغييرات فى شخصيته .. ان الكاتب يرى أن الحب فى هـذا العصر الملىء بالمشاكل والهموم والقلق من المستقبل .. ان الانسان يبحث عن الأمان وسط هذا البحر الصاخب .. كيف يعيش الحب فى هـذه الظروف القاتلة ففى قصة « لا مكان للحب » يبين من خلال اربعة مواقف .. فى الموقف الأول يبين ما يعانيه الانسان من مشاكل يوصيه من أجل البحث عن لقمة العيش .. الزحام .. المواصلات .. الناس المنافقون « فى العمل .. رأيت وجوها صفراء ، وعيونا تشـع خبثا وكراهية .. رأيت النفاق .. والزيف .. والوقيعة .. يقابلك احدهم بوجه فى براءة الطفولة ثم يدخل الى رئيسك فيدس لك دسا قد يتسبب فى تشريدك وخراب بيتك » .

وفى الموقف الثانى « الشفقة الأولى » وسط هذا الزحام من المشاكل والهموم يبحث الانسان عن نقطـة مضيئة فى حياته لتبدد الظـلام الذى يغلق حياته .. يتذكر بطل القصة وجه اول امرأة احبها .. يرتد بذكراته الى المـاضى لينسى الحـاضر بمعاناته وأحزانه .. لم يرد البطـل أن يعرف شـيئا عن حبيبته هـذه حتى لا يعرف عنها شيئا يشوه صورتها الجميلة .. أراد أن

يعيش معها بصورتها التى احبها عليها .. « كنت أريد أن اظل اتصـورها كما كانت .. لم تكتهل أو تمرض أو غادرت دنيانا .. كنت أريد أن تبقى نهايتها مجهولة لى .. ففى المجهول راحة وسعادة وامل متجدد .. اننا كثيرا ما نخدع انفسنا لنهرب من مواجهـة الحقيقة » فالكاتب يجعل هـذا الحب رمزا للسعادة التى يبحث عنها الانسان دائما .. وفى الموقف الثالث « الفراق » يرى لحظات الوداع فى وجه طفل يودع والده فى وجـه زوجة تودع زوجها وأم تودع ابنهـا .. كل لحظـات الوداع هذه يعيشها بطل القصة الثالثة نتيجة الحزن الذى يسيطر عليه « وسرت وحدى فى الطرقات .. وانا دائما وحدى .. سرت خافق القلب حنانا ، وفى خيالى صور لا تمحى .. عيون دامعة .. ابتسامات حزينـة كلمات هامسة .. اياد تلوح مودعة .. سرت هائما ابحث عن وجه يبتسم لى .. ما أجمل الابتسامة على وجـه الانسان ان اغلى واثمن واعظم هدية تقدمها لانسـان أن يبتسم فى وجهه أو يد تلوح لى مودعة فى حنان الحب أو فم جميل يهمس لى الى اللقاء » .

ان شخصيات القصص تحمل افكار الكاتب وأراءه فى الحيـاة والحب فهى تؤمن بالحب ايمانا عميقـا لها لتعيش فى هـذه الحياة التى تطحنها بين تروسـها .. فالحب عندهما كالهواء والمـاء تماما لا غنى عنها عن

الحب .. فهو الأمان والسعادة والوجود والخلاص وبدونه الضياع والجدب والقلق .. فالابتسامة لها اثر ساحر فى نفسية هذه الشخصيات المطحونة .. ومن اجل هذه الابتسامة نرى الأب فى الموقف الرابع « حلاوة المولد » يبيع كتبه ليشترى علبة حلاوة للأولاد .. ويركب الأتوبيس .. ويعطى العلبة لأحد الركاب الجالسين .. ويزداد الزحام ويتوه منه الرجل ولا يعثر عليه فى محطة الوصول .. ويدخل البيت حزينا .. ويقتله الهم والكمد عندما يرى السعادة تخبو فى عيون أولاده عندما وجدوه لا يحمل علبة الحلاوة .

وهكذا نرى أن سعد حامد لا يقف من مشاكل مجتمعه موقف المتفرج بل نراه يشارك فيها مشاركة فعالة وبشكل حاد وهو يواجه هذه المشاكل بحدة وقسوة ليحدث الصدمة المزلزلة فى نفسية شخصياته ليدفعها الى التغيير .. وهو يلجأ فى هذا كله أحيانا الى كلمات مباشرة يقتضيها الموقف ولكنها مشحونة بالانفعال الصادق تتخرج قاطعة كالسكين .. وأحيانا من خلال عرض المواقف الساخرة مستخدما المفارقة بين المواقف معتمدا على ذكاء القارىء فى الوصول الى الهدف الذى ينشده .. ومما يلفت النظر حقا ويحدد الاشارة اليه أن الكاتب هادىء الطبع .. يدل مظهره على الوداعة والبعد عن القسوة ولكن الكاتب كتاباته تكشف عن أعماقه المحتدمة

التى تبدو واضحة فى الفاظه فرغم أنها رقيقة الا انهـا حادة كالسكين .. تنغرس فى القلب فتدميه .. وتبدو حدية الكاتب بالذات عندما يتعرض للمشاكل الاجتماعية والفوارق الطبقية وعندما يتعرض لخطيئة زوجة . ففى قصة « التفاحة » مثلا ـ مجموعة أمسية للحب يبين مدى الحرمان الذى يعانيه الانسان الفقير الذى لا يستطيع أن يشترى تفاحة الا بعد تضحيات واستدانات لتحقيق حلم شراء تفاحة ، بينما يوجد فى المجتمع من يستطيع شراء أقفاصا من التفاح ، بينما « عم ابراهيم » يضطر الى الاستدانة ليكمل ثمن كيلو تفاح ليقدمه هدية لابنة صديقه فى يوم زواجها لأنه سمعها مرة قبل زواجها انها تريد ان تذوق التفاح « كم أشتهى أن أتذوق طعمه .. واحدة فقط .. او نصف واحدة أو حتى قطعة صغيرة منهـا ، لكى اتمنى أن أحصـل على تفاحـة من هـذا الصندوق » فيرد عليها « عم ابراهيم » هـذا طعـام الأغنياء يا ابنتى .. أما نحن الفقراء فيكفى أن نراه من بعيد ونذوق طعمه فى الأحلام .

وفى قصة « الخوف من الحياة » نرى البطل يهرب من شقائه الى الخمر .. لأن الحياة أصبحت لا طعم لها .. كيف يعيش فيها وهو لا يستطيع ان يحقق احلامه وأمانيه لأن المجتمع مريض .. والحياة تحولت الى عبء ثقيل عليه وعلى الناس .. تهدم كل حياتهم بقسـوتها

« الحياة كئيبة موحشة مملة .. عبء ثقيل ليست عليه وحده بل على جميع الناس .. والمجتمع مريض لا يرجى له شفاء .. والنـــاس كلهم مرضى .. فبعضهم مريض بالهــوس الدينى وبعضـــهم بالهوس الجنسى وبعضـــهم بالانفصال والاكتئاب والقلق النفسى والادمان .. وفى كل مكان يجد شـــيعا وجماعات وفرقا تتضـــارب وتتحارب وتتقاتـــل .. يجـــد المتزمتين الذين يكرهون كل جديـــد ويتعلقون بأذيال المـــاضى البغيض .. ويجد المقلدين الذين يجرون وراء العبث واللامعقول .. ويجـــد اليســـاريين المتطرفين الرافضـــين لكل القيم .. ويجد الرأسماليين الذين يخافون على ثرواتهم والاشتراكيين الذين يدعون للاشتراكية ، ويجد الذين يهاجمون الاشتراكية ويقولون انها وزعت الفقر على الجميع يجد المنافقين والمرتشـــين واللصـــوص والمتقلبين الذين يدينون بكل مبدأ ، ويجد الملحدين المتحررين من كل دين وعقيـــدة .. وكل هؤلاء يبحثون عن طريق هذا الصخب وهذا الضجيج وهـــذه الثرثرة على نسيان حياتهم التعسة الكريهة .. وكل هذا نتيجة محتومة للفساد والضغط والكبت الذى يئن منه المجتمع وللحياة البائسة التى يعيشونها .. لم ير انسانا لا يشكو .. الكل يشكو ويتذمر ويضيق ولا شىء صحيح أبدا .. كل شىء معوج ومنحرف وممزق » .

فهنا نرى الكاتب يحلل سبب شـــقاء الانســـان فى المجتمع تحليلا دقيقا فى صراحة ووضوح ومباشرة اقتضتها

طبيعة القصة .. انه يبين أسباب ضياع الانسان فى زمن الشعارات الكاذبة المضللة والتى تسببت فى الهزيمة عام ١٩٦٧ ، لأن الانسان فقد نفسه .. عندما ضاعت الحقيقة .. لم يجد الناس الخلاص الا فى الخمر والمخدرات كطريق للخلاص من هذه الحياة الفاسدة الظالمة المملة « الناس حياتهم ضائعة ولا معنى لها .. ولا هدف يعيشون من أجله .. ارخص انسان فى هذه الدنيا الواسعة هو الذى يعيش فى مصر .. معذبا بالبحث عن طعامه وعن سكن له .. يعانى عذاب السعير من كل لحظة من لحظات حياته .

فالكاتب يستمر فى بيان العذاب الذى يعيشه الانسان من صراعه من أجل تحقيق الحياة المستقرة ويصل الكاتب الى ذروة المأساة عندما يصور حزن الانسان عندما يضطر الى الهجرة بعيدا عن وطنه « كان متأكدا من أن الناس كانوا يحبون مصر فى يوم من الأيام .. أما الآن فكل انسان يريد أن يهرب منها .. مئات الآلاف هربوا الى البلاد العربية والى أوربا والى أمريكا .. كان الناس يحبون مصر وتراب مصر .. ولكن يبدو هذا الحب مات فى قلوبهم فلم يعد يسمع أحدا يتحدث عن حبه لمصر ولكنه يسمع عن انسان هاجر من مصر وآخر يريد أن يهاجر » .

من خلال الحوار بين بطل القصة وبين ساقى الحانة

وفى حديث البطل مع نفسه نقف على الأزمة الاقتصادية الصامتة التى اماتت الحب فى القلوب .. نتبين الشعارات الكاذبة الخادعة التى حولتنا الى اكذوبة ضخمة انكشفت فى هزيمة ١٩٦٧ .. فالكاتب يرى أن تهيئة الظروف الاقتصادية الجيدة والجو السياسى الصحى الذى يتنفس فيه الانسان بحرية يخلق الانسان البناء الذى يحب الآخرين .. ويحب وطنه .. وبدون الحرية ولقمة العيش لا قيمة للانسان .. ولا قيمة لأى شىء على هذه الأرض .

والحقيقة أن سعد حامد يهتم بالانسان اهتماما كبيرا فهو يدلله أحيانا ويقسو عليه أحيانا ويواجهه مواجهة قاسية ليأخذ بيده الى طريق الأمان .. الى السعادة والتلائم مع مجتمعه وهو يرى أنه لا يتحقق هذا الا عندما يعرف الحب .. حب الله .. حب الوطن .. حب أخيه الانسان .. حب المرأة .

وكل نماذج سعد حامد من الحياة ، قريبة منا .. تعيش بيننا ولذلك فاننا نشاركها أفراحها وأحزانها .. نشاركها رحلة كفاحها من أجل البحث عن الخلاص من العذاب .. والكاتب لا يكتب قصصه بهدف التنفيث فقط لأنه فى هذه الحالة « تصبح جرعة الكحول أو جلسة الأنس أو معزى الندب والعويل » على حد قول الدكتور/ يحيى الرخاوى ولكن يقصد به اسهاما فى اطلاق حرية الكبت الذى يعانيه الانسان نتيجة اغترابه ، ووظيفة

الفن عموما لا تقف عند حد اثارة الاحساس فقط لتفريغ شحنة الكبت ولكن وظيفتــه هى اثارة الاحســـاس مع ايجابية الفعل لتغيير الواقــع .. وسعد حــامد فى كل قصصه من خلال الصور والمواقف التى يقدمها بشكل حاد وقــاس يثير فى الانسان ارادة الفعل لتغيير سلبياتــه بالمواجهة الصريحــة وان كانت تحمل فى طياتها المرارة كالدواء المر الذى يحمل الشفاء للمريض .

ومع أن سعد حامد معروف بانه كاتب عاطفى .. يتحدث عن الحب محللا العلاقــة بين الرجــل والمراة وأبعادها ولكن نظرته تختلف عن نظرة احسان عبد القدوس للمــراة وتصرفاتهـــا ونظرتــه للحب .. فــاذا كــان احسان عبد القدوس يرى اعطــاء الحريــة الكاملة فى ممارسة الحب بين الرجل والمراة لأنــه وسيلة لتحرير الانسان من القيود الاجتماعية التى تكبل تقدمه وتطوره فان سعد حامد لا يخرج على الأصول الأخلاقية المرغبة والتقاليد الاجتماعية .. وهــذه الحدود التى يراعيها سعد حامد تجعل شخصياته تحمل فى أعماقهــا بذور الاصلاح والتوبة والرجوع الى الحق .. هذه الشخصيات تحمل فى اعماقها ضميرا حيا يستيقظ فى اللحظات الهامة الحاسمة فتنقذها من ازمتها .. أن الكاتب مع الاعتدال فى السلوك وضد المغالاة فى التصرفات لأنه يرى أنها تؤدى بصاحبها الى الهلاك .. سواء كانت المغالاة فى الحب ..

او الخمر .. أو المخدرات .. ولأن شخصياته تعيش حياتها بكل أبعادها متفاعلة معها بكل ايجابياتها وسلبياتها ولذلك نجد عندها خبرة مكتسبة تؤهلها لتكوين وجهة نظر فى الحياة وآراه نافذة وكلمات تجرى مجرى الأمثال .. وهذه الشخصيات تحمل أفكار الكاتب وآراءه ويبرز ذلك بوضوح فى مجموعته الأخيرة « الخوف من الحياة » ويرجع ذلك الى ما اكتسبه الكاتب من خبرة طويلة فى مشواره الطويل مع الحياة .. هذه الخبرة التى تكونت لديه من تجاربه الحياتية ومن قراءاته وبذلك نجد عنده امتزج الفكر والفن معا .

لقد اختار سعد حامد فى قصصه الشكل الفنى المعتمد على الوضوح المستمد من وضوح الرؤية عنده لأن من « واجب الفنان الأديب أن يكون على بينة مما يدور فى خلده وأن يفصح عنه ؛ وبذلك نستطيع أن نقف على آرائه فى الموضوعات التى من حقنا أن نتلقى فيها الآراء الجليلة ، والواقع أن الكاتب الذى يتركنا فى عمياء من أمرنا تلقاء آرائه يخذلنا ، ويتخلى عن تبعاته » ونحن مع الأستاذ على ادهم فى رأيه لأن معظم الأعمال العالمية التى تحظى باعجاب القراء هى التى اتخذ أصحابها الشكل البسيط والتزموا بالوضوح مع العمق والبعد عن الغموض الذى يوجد حاجزا بين القارىء والعمل الأدبى وقد يكون هذا الغموض كما يقول البوت نوعا

من الادعاء « فالمؤلف يحاول أن يخدع نفسه ويعمل على أن يقنع نفسه بأن عنده أشياء يريد أن يقولها أعمق مما عنده » فصول فى الأدب والنقد والتاريخ ــ على أدهم) .

وكاتبنا سعد حامد اتخذ الوضوح شكلا لتوصيل أفكاره واعتمد فى ذلك على وصف رائع للشخصيات يحمل تحليلا نفسيا واجتماعيا لها مستخدما ألفاظا عذبة ورقيقة ترتفع بالأسلوب الى مستوى الشعر فى معظم قصصه وهذه الطريقة فى الكتابة لا يقدر عليها الا كاتب مثل كاتبنا تمرس بكتابة القصة القصيرة والرواية مدة طويلة وترى مجانبا رغم اعتماده على الوصف الا أنه يحرص على الا يقع فى الأسباب والاستطراد الذى يجعل القصة مترهلة ولذلك نجد بناء القصة عنده متماسك والشخصيات مرسومة بدقة ويسيطر على أحداث القصة سيطرة تامة .

ان سعد حامد كاتب فنان كثير العطاء ثرى الفكر مخلص لفنه وهو علامة بارزة على طريق القصة أثرى المكتبة العربية بقصصه ونتمنى له دوام العطاء .

اللســـان المـــر

يمتـــاز عبد الوهاب الأسوانى باهتمامه بتصـــوير البيئة المحلية التى يعيشها ومثله فى ذلك مثل فوكنر وأمثاله من أدباء جنوب أمريكا الذين يكتبون عن بيئتهم المحليـــة وما فيها من مشاكل وعادات ناسها وأفكارهم مرتفعين بذلك الى المستوى الانسانى من خلال معالجتهم الفنيـــة للقصة .. وفى رأيى أن الأديب المتفهم لوظيفة الأدب هو الذى يضيف بأعماله شـــيئا جديـــدا الى التراث الأدبى والقاص عبد الوهاب الأسوانى بأعماله التى قدمها عن البيئة الأسوانية مثل « سلمى الأسوانية » وأخيرا « اللســـان المر » احدى قصص كتابه الجديد الذى صدر حديثا .. يقدم لنا مجتمعـــا جديدا مختلفـــا عن مجتمـــع المدينـــة والقريـــة .. ولم يحصر عبد الوهاب الأســـوانى عمله فى حدود المحلية الضيقة ولكنه حرص على تصوير شخصياته من الجانب الانسانى ، حرص على تصـــوير مشاعر الحب والكره .. العادات والتقاليد .. هـــذا المجتمع الجديد المختلف عن مجتمع البيئة والقرية .

وفى كتابه الجديد المتضمن قصتين « اللسان المر » و « ابتسامة غير مفهومة » عمد الى هـذا الجمع من هاتين القصتين المختلفتين فى مسرح أحداثهما ، فالأول تجرى أحداثها فى قبيلة السـوالم والجوابر ، والثانيـة تجرى أحداثها فى المدينة .. عمد الى ذلك ليبين الفارق الكبير بين المجتمعين من خلال التناقض الكبير فى البيئة وسلوك الشخصيات وأخلاقهم .

فاذا كان الانسان فى « اللسـان المر » يحرص على العطاء لأهل بيئته حيث يذوب الأنا فى المجموع واجدا فى ذلك كل السعادة بصرف النظر عن بواعثه الهامشية الذاتية مثل الانتحار الا انه فى النهاية يعتبر نفسه مسـئولا عن كل فرد فى القبيلة .. مسئول أن يحل مشكلته .. ويتمثل هذا فى شخصية شمروخ مع أهل قبيلته .. فهو يحضر لهم الهدايا عند عودته من كل سفرية .. وليس هـذا فقط ولكن عندما تأزمت الأمور بين « بتول » و « معوض » ووقعا فى الخطيئـة وهما فى حذر الحب ، حل شمروخ الموقف بطريقته المعروفـة حسب تفكيره .. بان اختطف معوض وكتف والد بتول الرافض للـزواج وحجزه فى منزله .. وانتهت الحكاية بمأساة بموت والد « بتول » .. ورغم هذا يتعاطف معه أهل القبيلة ويشعرون بالأسى ، والشرطة تقوده للتحقيق فيهتفون « لا غيب الله صـوتك ياعمود قبيلتنا » .. وهو يحدث نفسه فى هذا الموقف

العصيب « كان يقول لنفسه : لم افعل الا الخير .. لن يتخلى الرحمن عنى ، لأنى لم افعل الا الخير .. وحينما صعدوا به الجسر الذى يفصل نجعه عن المزارع التفت وراءه .. القى نظرة اخيرة على نجع السوالم الذى أحبه اكثر من اى شىء آخر فى الدنيـا .. واستأنف سـيره مرفوع الرأس » .

فشمروخ رغم لسانه المر اللاذع الذى ينال به من اهل قبيلته الا انه يعرف واجبـه نحوهم وقد جعلـه الله غنيا .. ولذلك لم يجد اهل القبيلة فيه مجرما عندما مات والد بتول لأنه عن غير عمد فالتفوا حوله ودعوا له بالبقاء واحسوا بالخسارة الكبيرة .. وهو لم يكن شعوره شعور المجرم والقاتل لأن نيته سليمة ، تصرف بفطرته وبدائيته ، لقد كان ينوى الخير .. التستر على بتول ابنة قبيلته .. حماية لشرف القبيلة .. هنا نجد الفرد يذوب فى المجموع يعطى وهو سعيد بعطائه دون مقابل .. خـلاف مجتمع المدينة .. فهو مجتمع فردى انانى ممزق .. منحل .. لا قيم اخلاقية تربطه لأنه يجمع اناسا من كل البـلاد مختلفى الطباع والأفكار ولذلك تضيع القيم واذا وجدت فتوجد حالات فردية ترجع الى اصالتهاوعدم انحرافها وانجرافها وراء تيار المدينة الجارف الساحق المميت .. ففى « ابتسامة غير مفهومة » يصور بشاعة مجتمع المدينة التى تنهار فيها القيم امام انحرافاته المـادية فالحبيبة

سعاد تترك حبيبها « مدحت » لتتزوج من ابن خالتها حاتم القادم من ليبيا .. تغير طارىء على أسرة حاتم وعلى أسرة سعاد باعثة الوافد الجديد القادم من ليبيا .. القادر على تحقيق الأحلام والأمانى .. والف سلامة على الحب .

لننظر الى هذا الموقف المتخاذل من سعاد . والى موقف بتول المتمسكة بحبيبها رغم العقبات الأسرية التى تعترض زواجهما فلننظر الى هذا التمسك بالحب رغم العقبات .. رغم وجود الخطيئة ومحاولة معالجة الموضوع بسرعة حرصا على شرف بتول .. وانظر أيضا الى هذا الانحلال الذى نراه فى شقة عباس التى تجمع مجموعة من الصحاب على مائدة الرذيلة التى يتجمع حولها بنات ونسوة متزوجات يبحثن عن ساعات الحظ فى غفلة من أزواجهن . لقد نجح عبد الوهاب الأسوانى فى عرضه هاتين الصورتين لمجتمعين مختلفين استطاع من خلال عرض المواقف وسلوك الشخصيات أن يبين التناقض الحاد بين المجتمعين فى معالجة فنية دقيقة بعيدا عن المباشرة والخطابة .. ولكنه من خلال المواقف نفسها والشخصيات من خلال تحركاتها تفصح عما يريد أن يقوله .. فى المدينة يضيع الانسان .. والكل يأكل ويضحك على بعض .. الفهلوى .. الذى يملك المال هو المتحكم فى مقاليد الأمور والمؤثر فى الأحداث .. ونلمس دقة الأسوانى فى تصوير شخصياته والتغيرات الطارئة عليها ..

فحاتم القادم من ليبيا تغير تماما « دهشت حين رأيته يستبدل بلهجته القديمة .. لهجة جديدة تصدر من حلقه .. اشارات جديدة اكتسبها ايضا ، منها وضع يده فى جيب سترته وهو جالس » ظهور نغمة التفاخر والتعالى .

وعباس الشاب المستهتر الذى لا هم له الا البحث عن النساء وشخصية يقدمها الأسوانى من خلال جملة تتكرر على لسان عباس « وانا لا اقول لانسان انا أحبك الا اذ كنت أحبه فعلا » يقولها لكل من يقابله ويجالسه هذه الجملة تكشف عن شخصية عباس وتبين حدود علاقاته بالآخرين .. علاقاته بالآخرين سطحية .. تنتهى بانتهاء جلسة الأنس .. وعباس ليس الا واحدا من مجموعة الشخصيات ، ناهد المتزوجة .. سميرة الموظفة .. كمال شاهين .. مدحت . يجمعهم الكاتب فى جلسة الأنس مصورا من خلالها التفكك فى العلاقات ولا يربطهم حب حقيقى .. وهذا انعكاس للظروف التى عاشها المجتمع فى سنوات الهزيمة .. ويكشف الكاتب ايضا عن الفساد فى المجتمع المتمثل فى عم سعاد السيد شريف الذى صعد الى مركز مدير الشركة بعد التأميم .. وكيف اثرى وبنى العمارات وينكشف امره ويحاكم ولكن يبرأ حتى لا تشوه سمعة احد رجال البلد ويسخر الكاتب من براءة السيد شريف « ومهما توارى الحق فلابد أن يظهر يا بنى

أو ما دامت لا تؤذى احدا فلابد ان يفتح الله لك طريقا ولو فى المحيط نفسه ، اظهرت براءة السيد شريف وعاد الى عمله معززا مكرما ، ذلك لأن سمعة احد رجال البلد المهمين يجب الا تشوه ما دام كل شىء مسجلا باسم زوجته » .

وبينما أمثال السيد شريف ينهبون خيرات البلد نجد الكاتب يبين أن البلد لا تهتم الا للرجل العادى المطحون .. هو الذى حب بلده ويفكر فى أزمتها فوالد أمينة الشغالة العجوز يتحدث عن خطته فى ارجاع الأرض العربية من اسرائيل .

والكاتب يربط بين الشخصيات وواقعها الاجتماعى والسياسى الذى نعيشه وتأثرها على هذه سلوك الشخصيات .. فهزيمة يونيو ١٩٦٧ أثرت فى الانسان المصرى واصابته بالاحباط والضياع .. وكان تأثير ذلك على شلة عباس ينعكس على أمينة الشغالة وأسرتها .. ولكن الكاتب لا يترك شخصياته هائمة فى أزمتها فنجده يخرجها من أزمتها عندما عرفت طريقها .. فأمينة تتزوج ممن تحب وتضحى من أجله وهذا ما لم تفعله سعاد « أمينة كانت صادقة مع نفسها .. أحبت صلاح فغامرت من أجله ... ارهبتها تهديدات أهلها ، لكنها تبهرها نقود .. المعلم رشاد .. كما بهرت سعاد .. عيب أمينة أنها لم تدرس قانون البلاد كما درسه السيد شريف »

فأمينة مقهورة مثل حسن ولكنهـا لم تضح بحبها ولم يغرها المـال .. ولكن خضعت لتهديد اهلها .. لتتزوج المعلم رشاد الثرى .. أو مثل سعاد التى باعت حبها لقاء دينارات حاتم .. فالمعلم رشاد وحاتم مثل السيد شريف لصـوص .. يشترون كل شيء بمالهم وجاههم.. ويبرز الكاتب هـذا بصـورة حادة فى نهاية القصـة بهذه الكلمات « فى أعلى الجدار المقابل ما يشبه الشاشة السينمائية ، تقف امينة بثياب العرس البيضاء بجوارها المعلم رشاد بمعطفه الأصفر يفتل شاربه وحولهما نسوة يزغردن وشموع .. فى الخلفية نساء متشحات بالسواد يلطمن الخدود ، وشفتا أمينة تقتربان شيئا فشيئا ، تنفجران لتقولا لا : كنت تأخرت .. ولو ساعة « وصوت المتشحات بالسواد يملأ الجدار بعد اختفائها التدريجى يتوسطهن السيد شريف » .

فالكاتب بانتهاء القصـة باسم « السـيد شريف وصورة السيد شريف الوصولى المستغل يريد أن ينبه الى انه لا خير فى أى اصـلاح ما دام يوجـد أمثـال السيد شريف الناهبين أموال الشعب .. وأمثال المعلم رشاد .. وحاتم الذى يمثل طبقة جديدة ظهرت فى المجتمع .. هؤلاء الذين يعملون فى البلاد العربيـة لقد كونت هؤلاء طبقة جديدة لها قيمها واخلاقياتها وهـذه الطبيقة ولاشك اثرت فى المجتمع وقيمه » .

فالكاتب فى هاتين القصتين استخدم الوسائل الفنية من التقابل بين الشخصيات فقد قابل بين سعاد وأمينة والسيد شريف والمعلم رشاد وحاتم .. وقابل بين المواقف كما استخدم النقد الذاتى من خلال حديث النفس للكشف عن ابعاد جديدة للأحداث تعمق الحدث ويتمثل فى موقف حسن ونقده لموقفه من امينة وحديثه النفسى الذى يكشف عما يدور فى نفسه .. كما نتبين قدرة الكاتب اللغوية وأسلوبه وبعده عن السرد والمباشرة كما أنه استخدم الأمثال الشعبية فى أسلوب عربى .

قراءة فى مجموعة « الجثة »

تتحدد قيمة العمـل الأدبى عندما يشكله الكاتب برؤيته الفكرية والوعى الجمال الى العمل الأدبى الثرى المؤثر فى العقل والوجدان معا . يرتفع به من المستوى الحـكائى البسيط الساذج الى العمل الأدبى المتضـمن ابعادا مختلفة تزيد العمل الأدبى عمقا ..

والكاتب صـلاح عبد السيد يتضح من اعمـاله ادراكه هذا المفهوم تماما فهو يلتقط من الواقع احداث قصصه ويعالجها بأسلوبه الخـاص ويضفى عليها رؤيته التى ترتفع بالحادثـة البسيطة على العمـل المشحون المؤثر .. ويتمثل ذلك فى مجموعته القصصية « الجثة » فشخصياتها من واقع الحياة .. لهم مشاكلهم الخاصة التى تحاصرهم وتضغط عليهم ولكنهم يصارعون للخروج من الحصـار المضروب حولهم دون .. استسلام .. قد ينجحون .. وقد ينهزمون ويسقطون ولكن سقوطهم يعتبر صرخة احتجاج تدين الظلم فى جميع اشكاله ..

تدين استغلال الانسان لأخيه الانسان فى هذا العصر المادى .

والكاتب يبحث عن القيم الخلقية التى افتقدناها فى هذا العصر مثل الوفاء والاخلاص .. يبحث عن لحظة الصفاء والنقاء التى تضىء الطريق أمام الانسان يكشف عن السلبيات التى تنخر فى المجتمع وتأكل انسانه .. يعالج القضايا الاجتماعية التى تشغل الانسان وتسحقه .. والكاتب يعالج كل هذا بأسلوبه المتميز المتسم بالحدة والعنف أحيانا . والسخرية احيانا اخرى . ليحدث صدمة .. كهربائية توقظ الانسان من سباته وتحرك تفكيره للبحث عن طريق الخلاص . ولذلك نجد شخصياته رغم انها مطحونة وتواجه ظروفا اقوى منها . الا انها شخصيات متحدية كل ما يحيط بها ولو أدى بها الأمر الى تدمير نفسها او تدمير ما حولها مثل « فتحى » فى قصة « الأرشيف » الذى يثور صديقه من أجله لما يعانيه من اضطهاد وقهر اجتماعى فيعبر عن ثورته وغضبه بحرق الأرشيف كصرخة احتجاج وينقذ صديقه من القهر الذى يراه من خلاله قصير القامة حتى لا يقصر فتحى ولأجل أن تطول قامته .. وحتى لا تقصر قامتى .. وقامات الآخرين وهذا حل عنيف مدمر يتفق مع أسلوب الكاتب الحاد الذى نلمسه فى معظم قصصه وهو حل يلجأ اليه الانسان عندما

يفقد الأمل فى المستقبل يفتقد من يساعده للخروج من أزمته .. لقد اختار الكاتب فى هذه القصة شكلا مبالغا فيه . ولعل ذلك يرجع الى انه يريد أن يجعل من « فتحى » رمزا لمعنى كبير . يريد أن يخرج بالقصة من مجرد المعنى المحدود الى المعنى الشامل .. ولهذا نجد هذا التأكيد من جانب الكاتب على قصر قامة فتحى

« الولد قصير .. قصير .. قصير كأنه عقلة الصباع .. الولد قصير .. يقترب من الأرض كأنه يعرف قدر نفسه .. الولد قصير .. كأنه نفاية مصنع البشرية . العادم الذى تجمع على الماسورة المتآكلة الصدئة « كحتوه » .. وادخلوه المعجنة ليخرج منه هذا الولد القصير القمىء الأصلع . صاحب الصوت المخنوق كأن هناك انسانا لا يراه . يحتل جولة . ويمد اصابعه الطويلة . المسحوبة كأصابع المدراة من خلال قصبته الهوائية ليضغط بها على زمارة رقبته فى قوة .. ويوزع عليه انفاسه المعدودة .

فالصورة هنا مبالغ فى رسمها وكان يمكن الاستغناء عن هذه الصورة المتكررة لتأكيد قزمية الموظف المطحون ولم يكتف صديق فتحى بحرق الأرشيف ولكنه يكمل فعلته العنيفة بفعل عنيف ايضا فتراه يبصق فى وجه المحقق معلقا على هذا التصرف . ما لا يستطيع العقل أن يحله .. فعلينا أن نجرب الجنون ،والجنون يلجأ

اليه الانسان عندما يواجه ازمة حادة يعجز عن حلها والخروج منها .. فهو عالم بديل يهرب اليه الانسان من الواقع المر الذى يعيشه وهذا ما فعله « وهدان » أيضا فى قصة « اللعبة » عندما عجز عن تصحيح اسمه نتيجة لروتين الجامد القاتل لقد ادى الروتين الجامد الى أن يفقد « وهدان » عقله لم يدر بنفسه الا وقد خلع ملابسه كلها فأصبح عاريا تماما كما ولدته أمه .. ثم طوح بجسده وبقفزة واحدة فى الهواء أصبح بعدها فوق مكتب المرأة الدميمة وصرخ . فانكفأت المرأة تحت مكتبها تصرخ فى هلع ..

ففى هاتين القصتين نجد أسلوب الكاتب يتسم بالحدة والعنف والسخرية فى الوقت نفسه .. شخصياته ليست سلبية فى مواجهة الضغوط القاهرة .. ضد الاحباط والضياع والتناقض الاجتماعى الذى شعر الانسان بأنه يعيش خارج مجتمعه .. يشعره بعدم التوافق ، عندئذ لا يجد الانسان بدا من أن يفعل مثلما فعل أبو السعد الفلاح الفقير فى قصة « الرجل البيه » الذى تبول على يافطة سيد بيه الحنش مرشح الدائرة الذى لا يرعى الا مصالحه الشخصية .. ويوازى بين البول المنساب على الأرض ودواء المستشفى الذى ألقى به لعدم فائدته .. ويزداد الغنى غنى ويزداد الفقير فقرا، فيأخذ أبو السعد اليافطة ونكتشف فى نهاية القصة أنه يلفها على بطنه .

والكاتب فى قصصه يحمل الانسان مسئولية مواجهة الأحداث واتخاذ القرار الحاسم فى المشكلة قبل أن تستفحل ويصعب حلها كما فى قصة « الجثة » فقد حاول فلاحو القرية التخلص من الجثة الطافية فى الماء حتى لا تقف عند ارض أى واحد منهم . فيقعوا فى المسئولية والخفراء أيضا يحاولون التنصل من المسئولية .. ويرصد الكاتب التغير الأخلاقى الذى طرأ على القرية نتيجة التغير الاجتماعى كمحصلة طبيعية للمهاجرين الى بلاد البترول أو قدوم أخوة البترول وما يحملونه من مال وأحلام فزوجة حسونة تضعف امام الغريب القادم من بلاد البترول وتزوجه ابنتها رغم اعتراض الأب الصامت .. ولكن ماذا يفعل وهو يرى امراته وقد اغرتها الحقائب المنتفخة ونسيت نفسها وزوجها وابنتها .. واخدعت بالرجل الغريب حتى انها قهرت انزعاجها حتى لا يراه عندما نظر اليها . فان مهمتها كانت هى ان تقهر انزعاجها وتمنعه من الظهور حتى ولو رعشة أو رجفة خفيفة قد تتبدى على وجهها . أو تتمشى على شفتيها فأصبحت عن عمد واصرار هى التى تعمل له القهوة السادة .. وتصب عليه الماء ليغسل يديه ويتوضا وهى التى .. وهى التى ..

بهذه الكلمات يكشف الكاتب عن الانحلال الخلقى الذى أصاب القرية من خلال هذه الأسرة يكشف عن تغير القيم الخلقية عند الأم التى أحس الكاتب تصوير أعماقها

من الداخل وما يعتمل فيها من طمع . ولكى يصفع الكاتب المجتمع ويدينه فتترك الأم زوجها وتسافر مع الغريب وينتحر حسـونة الذى احتج فى صمت الضعيف الذى سلبت ارادته .. ينتحر فى الجامع شنقا دليل ادانة الناس واعلانا بضياع القيم الدينية التى أصبح الناس بدونهـا خواء لا قيمـة لهم « عاريا تماما » كمـا ولدته أمه .. لايستره شيء ، أىشيء ملقى فى منتصف الجامع . وسوأته تتبدى للعيون . وحين اقتربوا منه فزعين . وجـدوه ميتـا .. وكانت يـده مطبقـة على ورقـة صـفراء قديمة . وحين فتحوها وجدوا فيها جلدة المصحف مكتوب عليها بخط شاحب قرآن كريم ومن الله تساقطت قطرات من الدماء ومقابل هـذا التفسخ وضياع الوفاء والاخلاص نجد الكاتب فى الـدم يدين عالم البشر الفاقـد للنقـاء والاخلاص هذه الأشياء التى لا نجدها الا عند الكلاب . فنجد الكلب يحزن حزنا شديدا على مصرع صاحبه تحت عجلات السيارة .. وتمر عليه السيارات غير مبالية بالدم الذى يلطخ الأرض ولا بالكلب الرابض بجواره يدفع عنه السيارات بعوائه المستمر ويظل الكلب فى مكانه حتى تنتهى حياته .. وفاء لمـا نجده عند الانسان فى هذا العصر .

وفى قصة « خضر » يرمز الى انتماء الانسان الى وطنه ورجوعه الى نفسه بعد الضياع والتمزق فى سنوات الهزيمة .. فخضر ظل يبحث . عن الانتماء والحماية .. يبحث عن الأب رغم قربه منه ولكنه لا يعرفه . وفى لحظة التضحية .. يتقدم خضر لانقاذ القرية من قنبلة سقطت

عليها بالقائها فى الترعة .. وفى هـذه اللحظة يعترف الخفير التابعى ببنوته ويتحقق الأمن والأمـان بانتصاره وانقاذ قريته والعثور على أبيه .

فى قصص المجموعـة يمـكن ان نستخلص مميزات صلاح عبد السيد الفنية التى تعتبر ملمحا خاصا به تحدد شخصيته وهى اهتمامه أولا ببناء الجملة من حيث التركيز واختيار اللفظة الموحية مع اهتمامه بالايقـاع الموسيقى الذى يحرص عليه من خلال تكرار الكلمـة أو الجمـلة للحفاظ على الايقاع الموسيقى من ناحية وتأكيد المعنى من ناحية أخرى وقد تأثر فى ذلك بأسلوب القرآن الكريم فى تكرار اللفظ أو الجملة . كما يهتم الكاتب ببيان منطوق الكلمات أى يهتم بالناحية الصوتية بتوضيح كيفية نطق الكلمة لينقل للقارىء الاحساس الحقيقى الذى تحمـله الكلمة مثل « يا سلاالم ، حاااف ، يا بوووى » .

ان الأسلوب هو الرجل كما يقولون ، وهذه المجموعة القصصية تحمل سمات صلاح عبد السيد وما يتصف به من هدوء وروية ومنطقه للأحداث واذا غصنا فى أعماقه نجـدها تمور الثورة والقـلق وينعكس ذلك فى التصرف الحاد والعنيف فى سلوك شخصياته .

وقصصه تتسم بالوضوح ولكنه الوضوح الذى يبين عن قدرة الكاتب فى معالجة القصـة وتمكنه من أدواتـه

الفنية . كما انها مشحونة بالفكر كما انه يحرص الا تكون قصصه مجرد تنفيس عن ثورة مكبوتة بعدها نشعر بالاسترخاء ، ولكن يحرص الكاتب ان يعطى دفعة مثيرة ومنشطة للفكر ودافعة للعمل للوصول الى مستقبل أفضل .

قراءة فى قصص اديب شاب
« سعيد سالم »

سعيد سالم أديب شاب من الاسكندرية استطاع فى فترة قصيرة ان يشد اليه الأنظار بما قدمه من انتاج غزير فى القصة القصيرة والرواية . اتسم بالجودة والحرارة ودقة اختياره لموضوعاته التى تدور معظم احداثها فى الاسكندرية ٠٠ اننا نشم فيها نسمات للبحر ونسمع صخب امواجه .. انها تحمل سمات البيئة السكندرية .. طبيعة أهلها وعاداتهم ..مشكلتهم وطريقة مواجهتهم لهذه المشكلات .. ولهذا يمكن القول ان الأديب القادر على صياغة حياة بيئته هو الذى يثرى الحياة الأدبية بما يقدمه من جديد وخروجه من دائرة الأديب الذى يعيش فى القاهرة .. ولا ادرى لماذا يضيق بعض الأدباء عندما نقول أدباء الاقاليم .. لقد كان أوكوناور وفوكنر مثلا من الأدباء الذين يعيشون فى جنوب امريكا واستطاعوا ان يبدعوا اعمالا ممتازة واثبتوا انفسهم فى الحياة الأدبية الأمريكية بتميزهم بمعالجتهم لمشكلات الجنوب التى تختلف

عن مشــكلات الشـمال .. فلماذا لا يعنى أدباؤنا الذين يقيمون فى الأقاليم هــذه النماذج الأدبية العملاقة ويبحث كل منهم عن موضوعات من صميم بيئته تعطى اعماله لونا متميزا عن أديب المدينة .. لقد احس سعيد ســالم بحاسة الفنان بما يمكن ان يقدمه للمتلقى ، لقد قدم نفسه بصدق وحرارة من خــلال أعماله ·· يقول : انه يحب الاسكندرية ويحب مصر الوطن الكبير ولم يمنعه حبه ان يقدم الابجابيات والسلبيات .. انه يعبر عن جيل عاصر حروبا ثلاثا مع اسرائيل .. جيل عاصر القلق والتمرد .. انه يمثل البطل اللامنتمى الباحث عن الصــدق وســط الزيف .. الباحث عن الأمان وسط الخوف .. ليس نفسه فقط ولكن لجيله الذى عانى العذاب والحرمان .. واعمال سعيد سالم تعالج قضيتين اساسيتين الأولى .. القضية الاجتماعية والثانية .. القضية الانسانية .

اما القضية الاجتماعية فتلح عليه الحاحا شــديدا وتستحوذ على فكره .. فيعالجهافى قصصه القصــيرة ويتناولها بشــكل حاد وعنيف فى روايتيــه « جلامبو » و « بوابة مورو » .

اما فى قصصه القصيرة فنجد عبد المجيد افندى الموظف فى قصــة « قنــابل لا تنفجر » يعانى من متاعب الحياة .. ومطالب البيت التى ينوء بها كاهله .. وهو انسان يتقبل أموره بهدوء واستسلام مستسلما للمشاكل

التى تواجهــه فى العمــل حتى لا يثير الزوابع ، يكفيــه ما يعانيه من اجل التغلب على الحياة الصعبة التى يعيشها ولكى يكشف لنا الكاتب شخصية عبد المجيد افندى وقف عند هذا الحوار بينه وبين سيد افندى زميله فى العمــل والذى يقرر الا يفاجىء عبد المجيد بالقنبلة التى أعدها له وهى التوقيع على عريضة ضد رئيسه .

ـ ابرضيك ما حدث من عبــاس افنــدى اليوم يا عبد الجيد .

ـ ربنا يهديه ويسامحه .

ـ لكنه تعدى حدود الأدب واللياقة معك .

ـ وماذا كان بيدى ان افعل يا سيد افندى .

ـ كان ينبغى ان توبخه وتحذره من عواقب كبريائه وعجرفته .

ـ واذا وقع على جزاء .. ماذا يكون الحل .

ـ ما اســهل كتابــة الالتماســات والتظلمــات يا عبد المجيد .

ـ .. صمت .

ـ ثم ان كرامة الانسان فوق كل اعتبار .. هه

ـ آه

فهو موظف مطحون تحت عجلات الغلاء وقهر رئيسه المتكبر وطلبات الأولاد .. انه يتهاون فى حقه من أجل ان يعيش .. حتى لا يجازى وما أكثر هؤلاء الموظفين امثال عبد المجيد الذين يرون الظلم ويقفون منه موقف المتفرج خوفا من الجزاء .. انه يعيش حبيس الخوف من رئيسه الذى يملك الخصم من رزق أولاده .. وفى قصة « المقعد » نجد نموذجا مختلفا عن عبد المجيد فنرى سمير الموظف يقف فى وجه الرئيس الظالم الذى يمتص دماء مرءوسيه .. ويسعد جدا عندما ينقل عبد المنعم ويأتى رجل آخر يسمى تيسير مصطفى ويستبشر خيرا بهذا الوافد الجديد الذى يصلى ويتصدق على العمال الفقراء ولكن ما لبث أن تغير جلد « تيسير » وأصبح مثل سابقه عبد المنعم وعندما بدأ يمارس ظلمه صبه على « سمير » فاستولى على كرسيه الذى يدور . يريد الكاتب ان يقول ان البيروقراطية المتعفنة التى تسيطر على مقدرات الموظفين والانتاج لا فائدة من اى قوانين للاصلاح اذا لم يقض على أمثال عبد المنعم وتيسير ، لقد تذكر سمير كلمات شاهد عجوز « فى هذا الزمن يابنى لا يجوز أن تأمن لأحد ».

ان الكراسى حقيقة تفسد الانسان .. لها بريق غريب يعشق نورها من يجلس عليها فلا يرى الحقيقة ، لقد تذكر كلمات الشاهد العجوز الذى صنع فى حياته عشرات الكراسى وأصلح منها المئات ، لكنه كان يفضل صناعة

قطع الأثاث الأخرى على صناعة المقاعد لأنها على حد قوله « تفسد احيانا حيـاة من يجلس عليها وحيـاة كل من يرتبطون بها » .

وكما استحوذ قطاع الموظفين على اهتمامه لابراز همومهم وخوفهم ومشاكلهم .. ينتقل الى تصوير الصراع الذى يعانيه بطل قصـة « حارة اليهود » الذى يحـاول أن يقطع المسافة بينه وبين أولاد الذوات .. ولـماذا لايكون واحـدا منهم .. يفعل مثلهم ويعيش حيـاتهم .. انه أفضل منهم بثقافته وعلمه ، لا يتميزون عنه الا بفائض المـال .. وفى حـارة اليهود يحدثنا عن أهل الحـارة وحياتهم ،عن ياقوت وعم جوجع .. دخل الملهى جلس على مائدة قريبة من مجموعة شبان خنافس .. ها هم أولاد الذوات الذين يريد أن يفعل مثلهم ويكفيه فخرا أنه يعرف أكثر منهم من خـلال قراءته الكثيرة انهم لا يفهمون معنى الأغنية التى يتغنى بها المغنى الزنجى .. وكانت المفاجأة عندما سـمع احـدهم خبر صديقـه أنه يعد للدكتوراه ويريد أن يشترى معملا جديدا بدلا من المعمل القديم ويفهمون أيضا كلمات الأغنية الأجنبية .. انسحب فى صمت عائدا الى حارة اليهود .. الى مكانه الحقيقى .. أى ان الذى يملك المـال يملك التفوق العلمى اذا أحسن استخدام المـال ، فى هذه القصة يصف أهل الحـارة وعلاقتهم ببعض فنشم رائحة الاسكندرية فى هذه القصة

وفى روايتيه « جلامبو » « وبوابة مورو » اللتين سنتحدث عنهما فيما بعد .

لقد أحس البطل الموظف فى قصة« حارة اليهود » لقد أحس بالاحباط عندما فقد نقطة التمييز التى كانت تعطيه التمايز والتعويض النفسى عما يشعر به من فقر .. اذا كان الأغنياء يملكون المـال فهو يملك الثقافة وهـذا أفضل من المـال ، هذا ما دار فى نفسه وهو يقف على عتبة الملهى « هه تشجع .. أقدم .. ماذا يمنع يا حضرة الموظف المحترم ان تجلس مع هؤلاء الناس فى هذا المكان ؟ لا يتميزون عنك سوى بفائض من المـال وما دمت تدرك بثقافتك الواسعة لا تتردد .. ما ستأكله او تشربه لن تدفع ثمنا له اكثر مما يدفعون أو اقل . حقيقة ان تلك مغامرة وخيمة العاقبة فيما يختص بمشكلة اول الشهر وآخره . لكنها مرة ولن تعود ثم يكفيك فخرا ثقتك فى انك تعرف بالقطـع من خـلال قراراتك العديـدة اكثر مما يعرفون عن شئون الدنيا والآخرة » .

فبعد أن يصور الكاتب هذا الحوار بين البطل ونفسه وتصوير التضحية بالمـال مرة واحدة من اجل ان يكون مثل أولاد الذوات اذا كانوا هم يملكون المـال فالبطل يملك العلم . وكانت المفاجآة عندما اقترب منهم وسـمع حـديثهم وعرف انهم مثقفون ثقافـة عاليـة .. أحس

بالاحباط عندما ضاعت منه نقطة التمايز التى يشعر بها بالفخر والثقة وهى الثقافة .

والقضية الاجتماعية وما فيها من فوارق طبقية تشغل بال الكاتب نتيجة احساسه بالظلم ، لذلك فهو يتناولها فى قصصه من زوايا مختلفة . ونرى انه يسجل فى قصصه دائما الاحباط المستمر بالنسبة للطبقات الفقيرة او المتوسطة وبخاصة الموظفين .

ورغم احساس الكاتب الحاد بالقضية الاجتماعية فاننا نرى نظرته الانسانية الرحبة التى تشمل الانسان عامة على هذه الأرض .. فكلنا بشر .. فلماذا يعادى الانسان اخاه .. وكانت جراة منه أن يتناول هذه النظرة من خلال دفاعه عن الجندى اليهودى الشاب الذى وقع أسيرا فى حرب ١٩٦٧ . ما ذنبه وقد سيق الى الحرب رغما عنه .. ولذلك فبطل القصة يقف بجانب الجندى الشاب، وبجانب الخواجه متانيا، وسليم الصايغ الموسيقى اليهودى فى ازماتهم ويعاونهم فى حل مشاكلهم .. وهنا نرى ان الكاتب لا يورثه الظلم الاجتماعى أو الفوارق الاجتماعيه اية مرارة ، ولكنه يدعو الى المحبة بين الناس جميعا .. يجب أن يعيش الجميع فى سلام .

وفى قصة « شرق وغرب » يصور تجربة شاب مصرى سافر الى أوربا مع فتاة زميلة له .. ومن خلال

الحوار الذى يدور بينه وبينها يكشف الكاتب عن الاختلاف بين العقليتين ، عقلية الشرق وعقلية الغرب .. فحديث الفتـاة الغربيـة مع الشاب الشرقى بحريـة عن الحب والأخلاق ونظرتها التحررية فى العلاقات بين الرجل والمراة تثير الدهشة لأنها بالنسبة له سلوك غريب فيسألها .

ـ ماذا تحبين فى غير سمرتى .

فتجيبه :

ـ دهشتك الدائمة من مفهومى للحب والأخلاق

ـ اعتقد اننى محق فى دهشتى

ـ اسمح لى .. انا احق منك بالدهشة .. كل قيمكم الخلقيـة تنصب فى غشاء جلدى رقيق تافه .. لمـاذا ؟

ـ صديقتى الصغيرة .. انت لا تفهمين شيئا

ـ قد لا يهمنى ذلك وانما أريد أن تفهم ماذا تسمى احتلال اليهود لجزء من أراضيكم .

ـ دخلنا فى السياسـة .

ـ الدين المعاملة .. كل من هب ودب يضعها هناك أمام مكتبه .

ويقرر الكاتب هنا أن سبب هزيمتنا فى ١٩٦٧ هو

اننا ابتعدنا عن الدين .. وجرينا وراء الماديات .. ويبين ان ما نراه فى الغرب من انهيار خلقى هو لا يتعادهم عن الدين . فهو هنا يناقش صديقته بجراة ويبين أن الشرق يختلف على الغرب فى روحانيته . فى العادات والتقاليد ، فالكاتب لا ينسى بلده وهو فى الغربة ويقارن دائما بين اى تصرف من تصرفات صديقته الحرة الجريئة وبين تصرفات أهل بلده « لو تعلمين أن هذه القبلة الاسطورية هى الأولى فى حياة شاب مضى من عمره تسعة وعشرون عاما .. ستدركين اننى اعبدك .. أود لو اختفى بك تحت طبقات الأرض ، نمارس حبنا بلا انقطاع حتى الموت .. دون أن نكلف انفسنا عن البحث عمن يهيل علينا التراب لنذوب مرة اخرى فى طبقاتها السفلية .. أما ينبغى يا خليل أن تسرع فى تدريب نفسك على التخلص من تلك السلسلة الفولاذية التى تشدك دائما من زيورخ لتجذبك فى ثوان الى حارة الرند حيث يتم كل شىء فى الخفاء بعيدا عن اعين الرقباء ذوى الشوارب الطويلة واللاسات الحريرية الملتفة حول الرأس والرقبة ؟ فما يسمى هناك بالرذيلة يتم هنا فى العلن .. ايهما افضل ؟ تشجع .

واذا كان الكاتب يبدو هنا انه يستمتع بالحرية التى عاشها فى الخارج الا أنه يواجه صديقته بالحقيقة ويوضح الفرق بين الشرق والغرب ويعلن لها انهيار حضارتها التى ينخر فيها السوس .. لابتعادها عن

الروحانية وقضية الفرق بين حضارة الشرق وحضارة الغرب .. تناولها من قبل توفيق الحكيم فى عصفور من الشرق ويحيى حقى فى « قنديل أم هاشم » الذى راى أن نأخذ من الغرب العلم ولا ننسى الروحانية ، لا ننسى عاداتنا وتقاليدنا ، وهـذا ما جعل الطبيب القـادم من الخارج يعترف بعد جهده المضنى فى سبيل اقناع أهل الحى بعمله المتقدم ان يوهم ابنة خالته بأنه يعالجها بزيت القنديل وتشفى المريضة .

اذا كان سعيد سالم فى قصصه القصـيرة قد عالج الجانب الاجتماعى والجانب الانسانى والفرق بين الشرق والغرب ، ودعوته الى الحب والتفاؤل فاننا نجده فى رواية « جلامبو » يعالج علاقة الفرد بالمجتمع ويبين مأسـاة اللامنتمى فى مجتمعنا الذى يأخذ على الآخرين انتماءهم ولكن نهاية اللامنتمى لم تكن أحسن من نهايـة الآخرين المنتمين . فحمدى بطل الرواية اللامنتمى خريج كليـة الحقوق يفتح مكتبا يعمل فيه محاميا . ولا نعرف كيف استطاع والده صاحب منشر مايوهات ثم صياد معدم أن يعمله هو وأخوه « حسن » الذى تخرج من كلية الطب .. يحـاول حمدى فى رحلته أن يبحث عن طريق للانتمـاء ليشعر بالراحة والأمان .

ولكن بعد أن سلك طريق الحب مع ليلى التى حددت موقفها معه بقولها « سعادتى لن أحصـل عليها الا بين

ذراعى تعس مثلى لا يستطيع ان يكسب اكثر من قوت يومه » ويحاول ان يسير فى طريق أخيه حسن .. طريق النضال .. ولكنه فشل فيه ايضـا ، فبحث عن طريق آخر مع الريس عبد العال تاجر المخدرات وانتقل بعد ذلك الى طريق النساء مع لولا ، والكاتب بعد ان يقدم لنا قلق حمدى وتقلبه فى جميع الطرق للبحث عن الانتماء ليشعر بالأمان يجعله يبحث عن والده والوالد هنا فى رواية بوابة مورو ينصحه بأن يتعلم أن يحمد الله .. الايمان هو الطريق السليم والملاذ للحيـارى والضائعين .. لقد احس حمدى بأنه مرفوض من كل الناس الذين اتصل بهم فلم يجد الا الهجرة طريقا للهروب من كل ما يعانيه . ولكنه راى الكثير من المتاعب ويقول رايه اخيرا فى الهجرة « حصلت على كل شىء ولم أحصل على شىء » .

واخيرا يبين لنا الكاتب ما وصلت اليه كل شخصية من شخصـيات الرواية التى تعيش مع البطـل يفاجئنا بالقبض على حمدى ؛ واذا كان حمدى فى السجن يقول « كلهم ينتمون الى أشياء فيما عداى » فان الكاتب يبين أن الانتماء لابد أن ينبع من داخل الانسان ولا يضـيع فى متاهات الحياة الا الانسان الذى يفتقد الى عنصر الايمان وهذا ما اكده فى رواية « بوابة مورو » فان البطل عندما فقد الايمان وقع فى جرائم السرقة لأنه افتقد البصيرة التى تنير له الطريق .

ان سعيد سالم استطاع ان يلفت الأنظار ويضع اسمه على خريطـة العمل الأدبى وذلك بمحاولته تكوين وجهـة نظر فيما حوله من مشـكلات اجتماعيـة كانت او سياسية كما نلمس فى اعماله الحرارة والحيوية وهذا يرجع الى الشكل الفنى الذى يختاره فى القصة القصيرة والرواية فهو على حد قول يوسف الشارونى عنه فيه دفقة الشباب ونظرته المحتجة على كثير من الأوضـاع التى لا يرضى عنهـا فى مجتمعـه وهى نظرة لا تنبع من كراهيته لمجتمعه ، بل تنبع من حبه لمصر وحبه لمصر لم يعمه عما فيها من سلبيات ، بل على العكس من ذلك دفعه لأن ينظر الى هـذه السلبيات بعين مفتوحـة كلها شفقة وتحذير ، وفى الوقت نفسه فان حبه لمصر لم يبعده عن فنه ، فلم ينس انه يقدم عمـلا روائيا فلم يقع فى براثن التقريرية والأسلوب المباشر والأساليب التقليدية .

وفى روايته « بوابة مورو » يعالج القضية الاجتماعية وهى الفوارق الطبقية طبقة حسين بك الثرى صـاحب المصنع وبين احمد وخالد واهل الحارة التى يقيمان فيها تشتعل أحلام احمد فى تغيير واقعه المر وواقـع اختـه ماجدة .. يقرر احمد أن ينتقم من حسين بك واذلاله وسرقة أمواله التى بالخارج والاستيلاء على ابنته أيضا .. انه تنفيس عما تعانيه الطبقة الكادحة من طبقة الأثرياء .. ان الكاتب هنا يتناول القضية الاجتماعية بشكل حـاد

انه يكره هــذه الفوارق الاجتماعية ويرفضها رفضا باتا « اننى ارفض راســماليتك الوطنيــة تلك . ولا أعترف بما أشارت بدورها المواثيق » .

وتبدأ المشكلة عندما يتساءل أحمد عن أسباب الفقر الذى يعانيه هو وأهل الحى .. من انا .. ما جــدوى ما أفعله . لمــاذا يحدث كل ذلك وما علاقتى بما يحدث .. بل ما هو الداعى لوجودى أصــلا وماذا أستفيد من الحياة وماذا تستفيد الحياة منى ؟ هل انجبنى ذلك النجــار التعس ليمتهن كرامته وآدميته فى سبيل أن يعلمنى .. لأجد نفسى فى النهاية معلقــا فى الهــواء لا أطول الأرض ولا اطول الســماء ؟ اقف على عتبــة الانتقال بنفسى .. بالسيد طلبة وعم على وغواصه وماجدة ومرمارة وعرب وبربرة والحاج حودة وامراة الشحتوت وأم الشحات .. بأجيالهم القادمة .. بعالم البوابة بأكمله الى موقع افضل انسانية وأعلى شرفا ان البطل هنا ثائر على واقعه ويريد تغييره والا يقف موقفا سلبيا لكنه ايجابى فهو يفكر فى وسيلة للخــلاص من واقعه الذى كتب عليه يريد أن يغير التعاسة التى يعيش فيها أهل البوابة وحواره مع صديقه خالد المثالى يكشف عن تفكير احمد الذى يؤمن بأن الثورة تبرر اى شىء .. كل شىء مبــاح من اجل الوصــول الى الهدف .. فخالد يرى ان الضعف لا يأتى بشىء .

ــ عبث

ــ عبث ؟ ان ما اقدم عليه هو الصورة التنفيذية لافكارك الخبيثة التى ستموت قرنا دون أن تراها تخرج الى النور .

ــ افكارى لا تعرف الخور والضعف .

ــ الثورة تبرر أى شىء .

ــ دعنى أقرر لك انك دائم الارتداد من افكارك الى افكارك .

ــ ابدا . لقد نسيت الماضى . نسيته

ــ وما الفائدة اذن ؟

ــ احررهم من الكسل .. ابصرهم بمعانى العدالة والعمل

ــ وما يدريك انهم ليسوا بسعداء على حالتهم الراهنة ؟

سمعت احدهم يقول للآخر فى حديث عن المنابر المقترحة : انت يمينى متطرف بالطبع :

فلما سأله عما يعنى هذا اللفظ قال له شقه : يعنى شيوعى طبعا .

ــ انهم لا يفهمون شيئا .

ــ ابتعد ، فبراكين الحقد حين تنفجر تدمر الجميع .

فنحن هنا أمـام عقلين متفقين فى المضـمون ولكن يختلفـان فى الوسـيلة فخالد يكتفى بالكلام والتنظـير والقوانين وأحمـد ثورى يؤمن بالعنف كوسـيلة لتغيير الواقع « من يعترض طريقى فاننى لا اترد فى تدميره ثم أواصل مسيرتى وكأن شـيئا لم يحدث . لن أسهم فى تكرار تلك القصة السخيفة . الفقير . الفنى . عبـادة الأصنام . الانخلاع من الحذر . التحول السرطانى غير المرئى . الموت فى عداد الأحياء . الحياة فى عداد الموتى . الطمع فى اسكات باطن الأرض نقيات الخبز . احتمالات . كنت وأصبحت يا ابناء البوابة وضواحيها من كل مهن .. كفوا عن الموت واعملوا .. اعملوا » .

ويعمل أحمد فى مصنع حسن بك بواسطة ابنته التى تقع فى حب احمد .. ويثق فيه حسن بك ويرسله الى الخـارج ويعطيـه رقم حسابه فى بنوك الخـارج ويستولى أحمد على أمواله ويدير حرق المصنع ولكنه يتراجع عن فكرة احراق المصنع ويحاول ان يمنع اتباعه من تنفيذ الفـكرة ولكن بعد فوات الأوان .. ان أحمد يرى انه تعبير عن أحلام الملايين من الشعب الفقير الذى ينهش لحمه الأغنياء وأصحاب الشعارات من أعضـاء الاتحاد الاشتراكى انه يعلن انه يفكر ويعمل من أجل أهل البوابة « لست ملكا لنفسى وانما انا ملك لكم جميعـا » يرى انه ملك لمـاجدة وينصحها أن تعطى لخالد الحياة

وتحركه لفتنتها فهو يرى انه امتداد له .. واستمرار لافكاره ولكن بصورة افضل فيها التفكير فقد أوقعه ايمانه بأن الغاية تبرر الوسيلة فى خطأ السرقة وحرق المصنع .. وهذا نتيجة ايمانه الأعمى بالعنف كوسيلة للتغيير الثورى وهذا ما يعتبره البعض من حق البطل الثورى وله أن يخطىء فى طريق نضاله على حد قول سلمى حضراء الجيوش « البطل الثورى مثلا ، قد يعانى الوانا من الصراع وقد يرتكب أخطاء وقد يغير سلوكه ويتأمل مصيره » لقد أحس أن الناس تبتعد عنه بعد ما عرفوا بأن الحكومة وجدت عنده ربع مليون جنيه .. ولكنه يؤكد لهم انه واحد منهم وانه بدونهم لا يساوى شيئا .

لقد تذكر كلمة والده الذى مات والمصحف بجانبه رمزا للايمان والنور .. يتنازل احمد عن ربع مليون جنيه ويتذكر كلمات والده . « يجب ان تتعلم كيف تحمد الله » ويقع احمد فى دائرة التفكير فيما حدث .. يعيد التفكير فى افكاره وفى وسيلة تنفيذها . لقد وصل الى مرحلة التوقف .. ليعيد التفكير فى تصرفاته ومواقفه .. ليتمكن بعد مواصلة نضاله ضد الأغنياء وموقفه هذا ليس هروبا ولكن اعادة تفكير فى وسيلة أصح « أنا لست هاربا وانما متوقف التفكير أما الى متى فهذا ما لا أعلمه الآن » لقد أحس البطل بأن نقاءه الثورى شابته شائبة ارتكاب جرائم السرقة والتغرير ، التغرير بابنة حسن بك وحرق المصنع .

وعندما فقد نقاءه الثورى فقد وضوح الرؤية التى تساعده على السير فى طريق نضـــاله ولذلك أحس بوجوب التوقف واسترجاع ماضيه وبرزت صـــورة والده وتذكر كلماته بأن الايمان الحقيقى المنبعث من داخل الانسان هو الذى يهديه الى الطريق السليم .

واضح ان التناقضات الاجتماعية فى المجتمع تشغل بال سعيد سالم وتستولى على تفكيره وهو وان كان قد تناولها فى قصصه القصيرة فانها كانت ارهاصا بعمل روائى كامل مثل « بوابة مورو » و « جلامبو » يضع فيه بالتفصيل والتعميق صورة لأحلامه وامانيه فى هدم القيم الاجتماعية للمجتمع الراسمالى .

يمكن القول انه رغم أن ابطـال قصصه القصـــيرة يتسمون بالعقل والتأنى والتفكير فى كل خطوة يخطونها فان أبطال روايته « بوابة مورو » و « جلامبو » يتصفون بالقلق والثورية الفوضية التى لا تعتمد على التنظيم القائم على التفكير المتأنى مما يجعلهم يفقدون فى النهاية كل شىء ففى « جلامبو » لا يصل البطل الى شىء وفى « بوابة مورو » يفقد ايضا كل شىء ويتوقف ليعيد التفكير فى حياته الماضية والمستقبلة دون أن يحدد فترة زمنية للعودة .

والكاتب فى كل ذلك يحب مصر كلما يقول يوسف الشارونى غرس هذا الحب الحـار فى ابطاله مما يبرر تصرفاتهم المتسرعة .

ان اعمـال سـعيد سـالم نستنشق فيهـا عبير الاسكندرية فى مبانيها واهلها وبحرها وقد حرص الكاتب على استخدام الألفاظ المتداولة بين شخصيات قصصـه والتى تحمل جو الاسكندرية ولهجات اهلها مثل « الطبق بشلم » و « الجندفلى » . والبراطيم والكواتر والدناجل وهى انواع مختلفة من المراكب لكل منها استخدام خـاص والجرافـة وهى كما يقول شارحا : مركب صـيد تلقى بالشبكة فى حيز بحرى كبير تقوم مجموعة من الصيادين على هيئة صفين متوازيين بسحب اطرافها عند الشاطىء.

لقد استطاع سعيد سالم الأديب الشاب ان يلفت اليه الأنظار بما قدمه من اعمال تدل دلالة واضحة على أنه موهبـة فنية ثرية ونبع متدفق العطـاء ننتظر منه الكثير .

عندما يصبح الريف بطلا لمجموعة قصصية

اذا نظرنا فى الساحة الأدبية نجدها زاخرة بأسماء قصاصين من الأدباء الشبان الذين يغذون الحياة الأدبية بانتاجهم . فيجددون شبابهـا ويثيرون فيها النشـاط والحيوية .. وهؤلاء الشبان أثبتوا قدراتهم الفنية التى تبشر بمستقبل زاهر للقصة .

ومن هؤلاء الشبان القاص عبد العزيز الشناوى وهو يكتب القصـة القصيرة بقدم ثابتة تدل على تمكنه من فن القصة .. بعيدا عن التأثر بالآخرين .. فانتاجه يحمل سماته الفنية وتفرده .

والشناوى قاص له فكر ورؤية يوظف فنه لتوصيله الى المتلقى دون أن يطغى هـذا الفكر على الناحية الفنية لأنه يفهم جيدا تلك المعادلة وهى الجمع بين الفن والفكر دون أن يطغى كل منهما على الآخر وهذه المعادلة تغيب عن بعض أدبائنا عندما يتعرضـون لقضـية فـكرية ، لقد

استطاع الشناوى أن يحفظ التوازن فى قصصه بين الفكر والفن .. فاستنقذ قصصه من الهتافية والمباشرة التى تضعف العمل فنيا واستنقذها ايضا من الجفاف الفكرى الذى يشعر القارىء بالملل .

وعندما ننظر فى انتاجه القصصى نجد انه تنـاول العديد من الجوانب .

١ ـ الجـانب الفـكرى .

٢ ـ الجـانب الاجتمـاعى .

٣ ـ الجـانب الانســانى .

والشناوى فى ذلك كله لا يوقف شخصياته موقف المتفرج على الأحداث ، فهى لا تعيش خارج الأحـداث بل تعيش داخلها بقلبها وعقلها .

وشخصياته تصور الانسان بقوته وضعفه ولذلك قد تزل وتسقط ولكن لأنها لم تفقد بعد القوام الأساسى الذى يشكل وجدانها وهو الدين فانها ما تلبث أن تعود الى وعيها وتتخلص من ضعفها ولذلك فهى شخصـيات ايجابية تصطرع مع الحياة لتخرج من هـذا الصراع أشد عودا وأكثر ايمانا وهـذه الشخصيات تنبعث تصرفاتها من داخلها نتيجة لتكوينها الثقافى ونتيجة لعاداتها وتقاليدها الموروثة ، ونتيجة للوجدان الدينى الكامن فى أعمـاق كل

انسان يصحو فى أوقات الأزمات فينقذ الانسان ويصحح له مساره الحياتى .

ومما يميز أعمال الشناوى اختياره مادة قصصه فهو يستمدها من البيئة التى يعيش فيها .. فهو يقيم فى المنصورة ويخالط قراها ولذا نجد معظم أحداث قصصه تدور فى القرى وتتناول عاداتها وتقاليدها .. وهو لا يهتم فقط بتقديم القرية من حيث هى منازل وحقول ولكنه يهتم بتقديم انسانها بعقله وقلبه .

واهم ما يلفت النظر أنه دائما يرجع الى الفطرة أو العادات والتقاليد ليجد فيها الخلاص وهو لا يقع فى نطاق محلية الأحداث ولكنه ينطلق بها الى العام الذى يهم الانسان عامة ويتمثل هذا فى جميع القضايا التى عالجها سواء كانت فكرية أو اجتماعية أو انسانية وهنا ينكشف ادراك الشناوى التام لوظيفة القصة ومن تخاطبهم .

فاذا نظرنا الى القصص التى تعالج القضايا الفكرية نجد أنه اتخذ موقفا ايجابيا من الشيوعية فبين رأى الانسان فى القرية فيها وكيفية رفضه للأفكار الملحدة المخربة لروح الانسان ، واختياره لانسان القرية بالذات اختيار للانسان عامة لأنه يمثل الجانب الفطرى فى الانسان الذى يرفض الأشياء وفقا لعادات وتقاليد ومكونات دينية

واجتماعية لعبت دورا كبيرا فى تشكيله فهو يقول من خلال شخصياته : ان الانسان على أرضنا انسان له دين يقف حصنا مانعا لحمايته من السقوط فهو الملجأ الوحيد الذى يلجأ اليه الانسان عندما يغفو من سبات الانحلال الخلقى أو الفكرى .

ففى قصة « الزير » يطارد أهل القرية بطلها لأنه شرب من الزير الأحمر ويحاول أن يبين لهم انه شرب دون قصد .. دون أن يعرف صاحبه .. ولكن تحاصره العيون باللوم .. الشيخ زيدان يطرده من العمل .. حاول أن يثبت حسن نيته ولكن دون جدوى . قالوا له .. أتريد أن تكون مثل سعداوى الذى لبس الكوفية والجلباب والحذاء وخسر نفسه وأهله .. هرب من زوجة أبيه التى تنتظره بالعصا .. ظل يجرى ويجرى .. دوى أذان الظهر .. ملأ سماء القرية .. وجد نفسه فى الوسعاية أمام المسجد .. اسرع نحو الباب المفتوح . فالقصة رمزية تتناول الشيوعية وتبين انه لا مكان لها فى مصر لأننا شعب متدين يرفض الالحاد ولهذا فبطل القصة فى النهاية يرفض أن يستسلم للأفكار الملحدة ، وهذا اعتقاد راسخ وأصيل انحدر اليه من والده .. الذى أخذ على نفسه أن يسحق كل ثعبان أو بيض ثعبان حتى لا يخرج منه ثعابين أخرى .. اذا عثر على بيضة ثعبان يسحقها بحجر اذا تركها سيخرج منها ثعابين ..

تزحف .. تملأ الحقول .. تتسلل الى القرية .. تبعث سمومها فى الطعام وتلدغ الأطفال .

وفى قصة « الضفادع » يناقش ايضا قضية الأفكار الملحدة ، فالضفادع تملأ الفضـاء بنقيقها الصاخب المغلق الذى يغطى على صوت شيخ الجامع فى الخطبة .. ولكن هذا النقيق ما هو الا أصوات جوفاء سرعان ما قضى عليها وعلا صـوت شيخ الجامع فوق هذه الضوضاء الكاذبة .

ان الشناوى فى هاتين القصتين تناول قضية فكرية تهم كل انسان وتنقل جزءا من تفكيره وبذلك اسـتطاع أن يخرج من نطـاق بيئته الى نطـاق ارحب واوسـع مما يعطيها صفة الاستمرارية لخروجها من دائرة المناسبات الضيقة .. لقد اثبت انه لا مكان للأفكار الملحدة على هذه الأرض الخضراء المروية بماء الدين .

واذا انتقلنا الى الجانب الانسانى فى قصصه نجده يتناول هـذا الجانب على ثلاثة مستويات .. الأول .. علاقة الفرد بأسرته ، والثانى .. علاقتـه بالقريـة .. والثالث .. علاقته بنفسه .

فعبد القوى فى « الطيور المهاجرة » عامل الترحيلة الذى يهد جسمه المرض ولكنه مضطر الى العمل ليوفر لقمة العيش لأولاده .. ورغم قسوة الخولى عليه وطرده

من العمل .. وفشله فى الحصـــول على النقود ليحقق مطالب أولاده .. رغم هذه الظروف القاسية .. يرفض أن يأكل لقمة العيش من حرام .. فيعيد ساعة الخولى التى سرقها فى لحظـة ضعف .. ويصحو ضـــميره .. تستيقظ فى نفسه كل ما تعلمه من والده ومن أمه من قيم خلقية ترفض ان يأكل لقمة العيش من حرام .. وهـذا التصرف الايجـابى نتيجة كما قلنا لقيمـه الدينية التى تعيش فى وجدانه والقيم الخلقية التى تعلمها .. وهـذا ما عدل سلوكه .. وحوله من انسان لص الى انســان نظيف . لقد تذكر كلمة محمود أفندى ابن العمدة ـ تظل تعمل طوال النهار تحت الشمس وتأخذ عشرة قروش ؟ أجر تافه .. لكنه يرضينى .. المهم ان تكون لقمـة العيش حلال .

لقد استخدم الكاتب المؤثـرات الخارجيـة لتوقظ ضميره .. وتنقذه من الهوة السحيقة التى سقط فيها .. فلم يكتف بمحاصرته بكلمات عبد القوى .. ولكن يحاصره بمؤثر آخر وهو العامل الدينى .. ينفجر فى نفسه الصراع بين الحلال والحرام .. « ترامى الى سمعه صوت المؤذن يؤذن لصلاة العصر .. اقتحمت بصره مئذنة الجـامع بضخامتها .. تفجر فى صـدره ينبوع الرهبة .. كيف فعلت ذلك على آخر الزمن ؟ صحيح اننى مريض وصاحب طورة أولاد .. لكن الحيـاة تسـير طول عمرى رجـل شريف .. كيف تمتد يدى على حاجة غيرى » .

نجح الكاتب فى تفجير الصراع داخل عبد القوى بهذين المؤثرين الصراع بين الخير والشر بين قيمه الدينية والأخلاقية التى تربى عليها وبين الشر الذى يأكل كل شىء فى لحظة ضعف .. صراع بين السقوط وبين الصعود الى قمة الشرف والمحافظة على سمعته وسمعة أولاده .

والعامل الدينى يذهب دورا كبيرا فى أعمال عبد العزيز الشناوى ، فشخصياته وان كانت تتعرض للسقوط سواء بقصد أو بغير قصد فالله سبحانه وتعالى يقول ((**ونفس وما سواها .. فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها**)) .

ويقول تعالى .. ((**وهديناه النجدين**)) . والله سبحانه وتعالى يفجر فى الانسان عنصر الارادة ليصل بنفسه الى الطريق المستقيم دون مساعدة .

والشناوى متدين استطاع ان يستغل هذا التصوير القرآنى للانسان استغلالا فنيا فى ابراز صراع الانسان عندما يقع بين اختيارين ، ولأن شخصياته كما قلت مؤمنة فانها سرعان ما تعود الى طبيعتها السوية .. عندما ينفتح قلبها ويهتدى الى طريق الدين .. طريق الخلاص .. فانها سرعان ما تجد الخلاص وراحة البال .. ويتمثل هذا فى قصة الطيور المهاجرة .. التى عرضناها وقصة « الزير » و « الضفادع » ففى هذه القصص نجد شخصياتها تعود الى الطريق الصحيح والأمان النفسى

عندما تلجأ الى الجامع . واذا كان عبد القوى يمثل صورة صراع الانسان مع نفسه بين الخير والشر فان بطل قصة « السمك يعيش على الأرض » تمثل علاقة الانسان بأسرته .. فهى تدور حول أخين أحدهما فقير والآخر غنى .. وكل منهما يعيش بمفرده .. ونرى الأخ الغنى يسىء معاملة اخيه رغم خدمته له .. فلا يساعده ماديا ليخفف عنه قسوة الحياة .. لقد نسى أيام كان فى الجامعة .. كنت اسافر الى القاهرة .. أحشر نفسى بين الكتل البشرية .. أجلس تحت الأقدام .. احمل اليه سبتا به الخبز المرحرح والأرز المعمر و .. وعندما يعود الى القرية اسرع الى المحطة احمل على كتفى حقيبته التى لا يستطيع حمار العمدة حملها » .

ورغم هذه القسوة والجحود من جانب الأخ الغنى الذى تبلغ به القسوة أن يحاول حرمان اخيه من ايجار مكتب البريد ليفوز هو بالايجار .. رغم هذا كله ، فعندما يتعرض الأخ الغنى لاعتداء من زهران وأولاده نجد اخاه يسارع بالوقوف الى جانبه ليدافع عنه ، يفعل هذا دون تكلف ولكن بتصرف طبيعى يتفق وعادات القرية وتقاليدها الموروثة .. وهو أن الرابطة الأسرية قوية لا تنفصم ولا تذوب مع الأيام .. والدم لا يكون ماء كما يقولون .

وفى قصة « غيطانى » يعالج علاقة الانسان بمجتمعه .. بالقرية .. فغيطانى يرفض من العمدة

خمسة جنيهات رشوة رغم حاجته الشديدة لها ، لأنه يأبى ان يشهد زورا ضد أهل القرية لصالح العمدة .. ظل فى صراع مع نفسه حتى وصل أمام المـأمور وكان قد وصل الى قرار حاسم وهو الا يدلى بشهادة لصـالح العمدة ضد أهل القرية ويلقى بالجنيهات الخمسة أمام المـأمور .. لقد فكر غيطانى كثيرا فى « سمعته .. فى أهل القرية الذين سيأكلون وجهه .. يشهد زورا .. سار هو والعمدة ووصلا الى المـأمور .. يطلب العمدة من غيطانى أن يقول الحق .. لا يطبق غيطـانى أن يشهد زورا .. وقف أمام المـأمور .. ألقى بالخمسة جنيهات » .

وفى قصة « اغنية قبل الموت » يعالج الخوف الذى يسيطر على الانسان .. ويجعله يعيش فى وهم ويظل أسير هذا الوهم حتى يشرف على الهلاك ولا يستنقذه منه أحد الا المواجهة للأمر الواقع ليعرف الحقيقة ويحطم حاجز الخوف الذى يرهبه ويشله .. ويهدده بالضـياع .. فيصور أن القرية تعيش فى رعب من ضبع يهدد أمنهـا ويقطع الطريق على العائدين من حقولهم .. اسـتولى الخوف على أهـل القرية .. ووقفت الحياة فيهـا .. اغلقت النـاس أبـواب بيوتهـم .. الأولاد لا يلعبون فى الشارع .. كل امرأة خافت على زوجها .. « صرنـا نلتحف الخوف والظلام . كيف يتسنى لقريتنا التى عاشت سـعيدة كريمة آلاف السـنين أن يعشش عليها هـذا الكابوس » .. توقفت الحياة تماما .

الظروف تحاصر بطل القصة .. ليس من المعقول أن تخلو القرية من الرجال .. ماذا يفعل .. أخذ يفكر .. لابد من وسيلة للخلاص .. لتنعم بالحياة بدلا من الموت « خلت الدار من المـاء .. الدقيق .. الجـاز .. الملح و .. لقد زهقت .. من الحبس بين الجدران .. ماذا أقول لأبنائى خلت الدار من المـاء والخبز .. لا أستطيع أن أنظر الى وجوههم .. أصبحت أخشاهم جميعـا .. عيونهم الضيقة تخترق صدرى تقرأ على ضلوعى أخوف الخوف .. بما أرد عليهم ؟ عيونهم تطرح الف سؤال فى كل نظرة قلقة .. فى كل رعشة جفن تسأل عن الكارثة .. تساؤلات تكبر فى أحداق اولادى .. تنتظر الاجابة .. الأيام تمر جافـة رهيبة .. اذا انطلقت ضحـكة تكون مكتومة .. ذبيحة .. تشنجات مريض بالصرع » .

لقد نسج الكاتب حول البطل الأسباب التى تجعل الصراع يحتدم فى نفسه ليصل هـذا الصراع الى نهايته فيدفعه الى عمل شيء للخلاص .. لقد وضع الكاتب البطل بين اختيارين .. اما أن يموت أولاده من الجوع ، واما أن يواجة الضبع مهما كانت النتيجة .. المهم انقاذ الأولاد .. وماذا فعل بعد التفكير الطويل .. لم يطق الانتظار .. ضاق صـدره .. لابد أن يحقق لأولاده ما يريدون .. امتدت يده الى العصا « سبقته العصا من وجه الباب .. أطل الفجر بوجهه من وراء السحب .. برزت فى ذمته

صورة الشيخ صابر بجلبابه الأبيض وهو يحث القرية على النهوض للصــلاة والذهاب الى حقولهم .. شدد قبضته على العصا .. اخذ يدق الأبواب والشبابيك ، لمح رجلا فى نهاية الشارع يدق الأبواب بقبضته .. رفرف قلبه بين ضـلوعه .. اصبحنا على موعد .. مللنا الانتظـار والجلوس داخل الجدران .. قررنا مواجهة الضبع بدلا من أن نكون فيرانا فى مصيدة » .

تحركت القريــة .. خرجـوا جميعـا للبحث عن الضبع .. ويجدوه نائما بين اعواء الحلفا .. ويطلق شيخ الخفراء مقذوفا .. لم يتحرك الضبع .. ولم يسمعوا له صوتا .

ويفاجئنا الكاتب بالحقيقة المرة .. بأن الضبع كان من البلاستيك .. لقد وضعنا وجها لوجه أمام انفسنا .. مواجهة ساخرة قاسية .. ولكن لابد منها لتحدد مواقفنا ولا نقع فريسة للوهم .. فلا علاج الا بنزع الخوف من صدورنا لنتمكن من تخطى الوهم القاتل .

واذا كان الشناوى فى القصص السابقة قد قــدم نماذج مختلفة من القرية يتمثل فيها الطيبة والتضحيــة واخرى منافقة ومخادعة .. فانه يقدم فى « البهلوان » مثالا للانســـان الساذج .. الريفى الذى يغرق فى بحر المدينة الصاخب مثل عليوة .. الذى فقد اربعين جنيها

من التسعين جنيها التى ادخرها ليشترى بها بقرة .. ولكن يقع فى حبائل المحتالين .. ويعضه الندم ويحاول أن يسترجع نقوده دون فائدة .

ويمعن الكاتب فى رسم الشخصية الساذجة بأن نجد عليوة يسلم امره لشاب وعده بأنه سيعيد له نقوده .. فيحدث نفسه بأن سيدى محمد العدنى قد يكون قد ارسله لينقذه ويعيد المبلغ المسروق « كثيرا ما حدثتنى امس عن سره الباتع .. لكن هل ستلحق بالبهلوان وستسترد نقودى » .

ان الكاتب بهذه الكلمات يسخر سخرية مريرة من هذه السذاجة والطيبة التى تضر صاحبها لم يتعلم من المرة الأولى .. فيسلم نفسه فى المرة الثانية الى شاب مجهول لا يعرفه .. ويوهمه بأنه سيسترد نقوده .

من هذه القصص يمكن القول بأن عبد العزيز الشناوى يوقف أبطاله كما قلنا فى موقف الاختيار ويفسح بعد ذلك الصراع الذى تعانيه الشخصيات ولكى نقدر ونشعر مدى اهمية القرار الذى يتخذه ويحرص على تقديم الجو العام للقصة والظروف المحيطة بكل شخصية وشخصياته محددة .. الملامح نفسيا واجتماعيا وخلقيا وفكريا وهى ليست منقطعة الصلة بواقعها وبيئتها ولكنها متصلة اتصالا وثيقا بواقعها وبيئتها وتعمل لها الف

حساب فى كل تصرفاتها .. وحرصا منه على تقديم الجو العام للقصة فانه يستخدم الألفاظ الريفية الدارجة التى لا تستخدم الا فى الريف .. فنجد « الوسعاية وجسر الجنابية ونبات عليق .. شتلات الطماطم قصة الزير ، الطاجين ، والوط الأرض والبشت اكفى على الخبر ماجور (قصة البهلوان) الخبز المرحرح والأرز المعمر ، الزريع (قصة السمك يعيش على الأرض) » .

والشناوى حريص على توصيل افكاره الى المتلقى ولذلك ابتعد عن الوقوع فى الأشكال الفنية الغامضة التى تفسد العمل الفنى وابتعد أيضا عن استخدام الألفاظ والتراكيب المعقدة الغامضة التى تقف حاجزا بين المتلقى وبين فهم القصة .

ان القصة القصيرة كالقصيدة .. ولذا لجأ الشناوى الى التركيز والتكليف والبعد عن الاستطراد ولذا نجد اسلوبه كثيرا ما يصل الى اللغة الشعرية بما يحويه من الفاظ رقيقة ويرجع هذا الى وضوح الرؤية لأنه اديب مؤمن بالكلمة ورسالتها ولذلك فهو لا يتسرع فى كتابة قصصه ولكن يتأنى فى كتابتها ويظل يراجعها حتى يرضى عنها تماما .

ان الشناوى يضع يده دائما على نبض مجتمعه .. يعايش احداثه وهذا من قيمة الكتاب الحقيقيين المخلصين.

« يا امة ضحكت »

رواية كل العصور

رسالة الفن هى الاهتمام بالانسان لما يتميز به من قدرة على بناء الحضارة لكونه الكائن الوحيد القادر على تغيير واقعه وتطويره ، القادر على الفعل وهذا ما يميزه عن الحيوانات على حد تعبير الأديب الفرنسى اندريه مارلو الذى يرى « ان الفن فى القرن العشرين يحث الانسان على التمرد على الأوضاع وتدمير المعتقدات الزائفة والتقاليد الخانقة يدعوه الى التعبير الصادق لما يعرفه من قلق وغضب وتوتر من موقفه المهدد بالحرب والدمار » (عالم الفكر ـ المجلد ٨ ـ ٣٤ ـ ١٩٧٧) ٠

وليس معنى هذا الاهتمام ان يهيىء الفن له المتعة الفنية واثارة الغرائز الرخيصة ولكن عليه ان يأخذ بيد الانسان وينير له الطريق ويسلحه بالأفكار الصالحة البناءة لتساعد على تغيير المجتمع ويتحقق هذا بتصوير الواقع ، وما فيه من مشاكل ولا يتأتى هذا الا بالمعالجة

الفنية الأصيلة كقول ارتست فيشر فى كتابه « ضرورة الفن » ان الذى يحدد قدرة الفنان وعظمته ومدى نجاحه فى التعبير عن مجتمعه وابراز مميزاته الانسانية ، وهذه العظمة وهذه القدرة الفنية الفائقة يتمتع بها يوسف السباعى لما له من حس مرهف ورؤية شفافة وقدرة على التعبير الفنى الصادق ، لقد عاش يوسف السباعى داخل مجتمعه ولمس مشاكله عن قرب ، ووقف على أسباب تأخره ، لذلك وظف فنه فى خدمة هذا المجتمع الذى تكاتف عليه الجهل والفقر والمرض فأصبحنا أمة يضحك من جهلها الأمم .. لم يتوان عن تبيان الأدواء التى تنهش فى جسد المجتمع لاستثارة ارادة التغيير فى الانسان ونلمس هذا فى مجموعة « يا أمة ضحكت » فقد صور فيها الأمراض التى تسببت فى تأخر هذه الأمة العظيمة .. صور هذا كله من خلال نماذج واقعية التقطها بحاسته الفنية ووضعها تحت المجهر لتبدوا أمامنا واضحة مستخدما أسلوبه الساخر الذى تميز به .. هذه المجموعة صور السباعى الجهل والوصولية ، والنفاق والخداع مبرزا فساد الحكم والأوضاع الاجتماعية السيئة التى انحدرت اليها الأمة نتيجة استشراء الفساد واهتمام كل من يصل الى كرسى الحكم بتحقيق اطماعه ضاربا بمصلحة الشعب عرض الحائط .. وهذه السلبيات صورها أيضا فى رواية « أرض النفاق » التى تعتبر مشروعا للثورة على حد تعبير الدكتور عبد العزيز

الدسوقى .. دعوة الى العمل الثورى للخلاص من الفساد .. دعوة الى اصلاح المجتمع للنهوض به والقضاء على الثالوث المزمن الجهل والفقر والمرض .. لقد كانت اعمال يوسف السباعى رائدة تقود المجتمع على الطريق السليم بما يملكه من رؤية شفافة تستشرف المستقبل .. كان يوسف السباعى متفائلا نتيجة ايمانه بالانسان المصرى وقدرته على تخطى ظروفه الصعبة وتغيير هذه الظروف ، وهذا الايمان لم يتكون الا لدراسته لتاريخ امته ومعرفته التامة بحضارتها وهذا ما لم يستطع بعض الكتاب أن يدركوه تماما فراحوا مثلا يبثون التشاؤم والتخاذل عندما هزمنا فى ١٩٦٧ وقد أثبت انتصارنا فى اكتوبر ١٩٧٣ قصور نظرتهم وجهلهم او تجاهلهم المغرض للأحداث المضيئة فى تاريخنا .

فى مجموعة « يا أمة ضحكت » هذه قلنا أن يوسف السباعى صور ما يعانيه المجتمع من تحلل وفساد، ففى قصة « يا أمة ضحكت » يبين أنواع الجهل ، فهناك الجهل البسيط والجهل المركب ومنتهى الجهل ويتمثل النوع الأخير فى الحكام « هل تعلم أن أقدر الناس فى هذا العالم واعظمهم شأنا أولئك الذين يتراسون الدول ويتحكمون فى مصائر البشر هم اشد الناس جهلا بحقائق الأمور .. وهل هناك اكثر جهلا من أولئك الذين يلقون بأنفسهم وببلادهم الى التهلكة بزعمهم انهم يقودونها

الى سلام دائم وعالم افضل ، كشف صريح لجهل الحكام فى فهمهم لمشاكل المجتمع وجهل ايضا فى وسائل علاجها ــ انهم مثلا لا يريدون ان يتنازلوا عن بعض ما يملكونه من اجل تحقيق العدالة بين الناس » انها دعوة الى المساواة ومشاركة الغنى والفقير ، وهذا حققته ثورتنا ونصت عليه فى مبادئها الستة وهو تحقيق العدالة الاجتماعية .. ان هؤلاء الحكام يقول عنهم يوسف السباعى انهم يجاهدون بطريقتهم التى لا تؤدى الى شىء مثلما يجاهد الشيخ احمد (نابغة الميضة) القابض على سيفه دائما يجاهد به بالطريقة التى تحلو له « ومـاذا يضيره فى ذلك وطريقته فى الجهاد لا تكاد تختلف كثيرا عن سواه فى هذا البلد . وهو فى نطاق مداركه يعتقد انه يجاهد ، وهم فى نطاق مداركهم يعتقدون انهم يجاهدون والبلد لا يكاد يستفيد منه الا بقدر ما يستفيد منهم » بالطبع لن يتحقق شىء على يد امثال هؤلاء ومنهم واحد مثل ابراهيم العقب (قصة نابغة الميضة) تاجر اعقاب السجائر وزعيم لمامى السبارس ، ثم يتاجر بعد ذلك فى الزبالة وبقايا اطعمة الجيش الانجليزى ثم يصبح بعد ذلك نائبا فى مجلس النواب هنا يتساءل يوسف السباعى ويجعلنا نتساءل معه ونفكر هل مثل هذا الرجل يستفيد منه البلد ؟ انها ليست دعوة للتفكير فقط ولكنها دعوة الى العمل لتغيير

أمثال هذه الظواهر الفاسدة حتى لا تكون امة يضحك من جهلها الأمم .

فى قصة « ميمون الجبل » يتناول هـذا الفساد عن طريق حوار مع قرد وصاحبه . فالقرد « ميمون » يثور على وضعه وعلى صاحبه ويطالبه بالبحث عن طريقة اخرى لكسب العيش وزيادة الدخل بدلا من هذه الطريقة المملة .. لقد أحس القرد بالضـيق والملل من حيـاته المكررة .. ضاق بسلام الأسياد تصوروا القرد يشـعر بسوء حالته فيثور والانسان فى هـذا البلد لا يشـعر بما وصل اليه من سوء فمعنى يثور ليغير واقعه الأليم .. يسأل عيسى قرده عما يقلقه فيجيبه « أنا لا اتأفف ، أنا اريد ثورة على هذه التقاليد البالية ، والأوضـاع القديمـة ، كل شيء سائر فى طريق التطور والتقـدم الا نحن » .. يشرح عيسى لقرده صـورا مختلفـة فى المجتمع لم يحدث فيها أى تغيير ليس فقط بعد اربع سنوات مدة عمله معه ولكن مضت عليها عشرات السنين فالفلاحـة مثلا التى يقلدها فى العجين لا تجد غير ذلك العجين ، .. والفلاح قضى مئات السنين لا يشرب سوى المـاء العكر المخلوط بكل ما فى جعبة عزرائيل من أمراض وجراثيم والفلاح قضى مئات السنين يزرع الأرض لتخرج ثمرا شهيا ولا يستمتع به الا السادة الذين لا يبذلون له الا الوعود ويقولون له « أصبر وانتظر نحن جادون

من أجل رفاهيتك ، الا ترى اللجــان التى نعقدها .. والجهد الذى نبذله كل هذه المصائب على رأس الفلاح وهو صابر لم يعترض وانت يا ميمون لك أربع سنوات تضيق ذرعا بحياتك وتعلن ثورتك » .

ويستمر عيسى فى مخاطبة قرده « لقد ضقت ذرعا يا ميمون لأنه مضى اربعــة اعوام وانت تفعــل ســلام أسيادك ، فما بالك بأسيادك انفسهم الذين مضى عليهم ستون عاما وهم لا يفعلون سوى سلام أسيادهم ما بالك بالأسياد الذين يتولون امورنا ويتبادلون علينا الواحــد بعد الآخر فلا يفعل كل منهم سوى سلام أسياده ، فلابد لكل منهم اسياد يؤدى لهم التحية ويأتمر بأمرهم ، ويتلقى منهم الوحى والالهام ، ما بالك بالخطب التى يتلونها منذ عشرين عاما كالببغاوات .. يكرر كل منهم ما قاله سلفه حتى والله ليخيل الى أن كلامهم يتلو ما كتب دون أن يفهم له معنى ، فهو يتلوه لمجرد التلاوة ، اذ يعتبر ان واجبه قد انتهى عند حد التلاوة ولا اكثر من هذا » .

لقد هاجم السباعى فساد الحكم قبل ثورة ١٩٥٢ بصراحة ووضوح ليستثير فى الشعب التفكير فى أوضاعه السيئة ولا يقف عند مرحلة التفكير فقط ولكن عليــه أن ينتقل الى مرحــلة الفعل ليحــدث التغير المنشــود للتخلص من الفساد . لجأ الســباعى الى الأســلوب الصريح ليحدث الصدمة الكهربائية ليفيق الشعب من

نومه ويثبت انه ليس شعب سلام أسيادك . و « نوم السكران » بلد لا راى له مما دفع بطل قصة « بصقة على دنياكم » الى رفض هذه الدنيا ، المليئة بالنفاق والفساد ولولا هذا الفساد ما وصل الى منصب رئيس الوزراء بعد ان كان ضابطا صغيرا ثم رجلا من رجال الفكر المنافقين ، يسخر قلمه لمنفعته الشخصية متناسيا الشعب ، لقد أصبح بائع كلمات يكتب على قدر ما يدفعون له .. انه يبيع كلمات تضيع بعد لحظات مع الريح .. لا فائدة منها لأن « هذا البلد لا تجدى فيه الكلمات نفعا .. انما تجدى فيه العصى والسياط » .

لقد تحول صاحب القلم الى بلطجى « هذا الحزب يستخدمنى لكى أسب ذاك ، وهذا الزعيم يستأجرنى لكى اعدم ذلك ، وانا بين هذا وذاك مسلول القلم مرهف الذهن اكتب واكتب ، والنقود تتدفق من حولى . لقد كنت تاجرا رابحا أعطى قدر ما آخذ .. هذا يريد منى مقالا بعشرة جنيهات وذاك يريد بعشرين .. انى اكتب واكتب .. لا مبدأ .. ولا غرض الا المال .. وكيف أستطيع أن أكون غير هذا فى بلد كهذا .. بلد فسدت فيه النفوس ، وصدئت الأذهان ، وعميت الأبصار » .

فى السطور القليلة السابقة يبين السباعى قدسية الكلمة ، وقيمة الرسالة التى يحملها على كتفيه صاحب

القلم .. يكشف عن هؤلاء الكتاب المؤجرين اصحاب الذمم الخربة الذين يتحول القلم فى يدهم الى وسيلة للكسب وليس وسيلة للدفاع عن المظلومين من ابناء الشعب . ويواصل السباعى رحلته مع هذا الانسان الطموح الذى لا يقف طموحه عند حد ويتذرع فى كل مرة بأنه يريد أن يخدم بلده مخلصا ولذلك فهو دائم البحث عن الوسيلة المثلى لأداء رسالته وهو فى الحقيقة يبحث عن وسيلة لتحقيق الثراء والسباعى فى رحلته هذه يكشف كيف يتحول الانسان عن مبادئه ببساطة أمام أطماعه حتى ولو كان رئيسا للوزراء . لقد دفعته رغبة الاحتفاظ بالكراسى الى التفكير الدائب عن الوسيلة غير المشروعة التى تجعله يحتفظ بكرسى الحكم ضاربا بمصلحة الشعب عرض الحائط ومن اجل هذا يظل الشعب كما هو لا يتقدم خطوة والسباعى فى هذه القصة يريد ان يقول : ان كل ما يحققه الطامعون مصيره الى زوال ولا يبقى الا الخير للناس « انها دنيا هاوية .. ومهما وصل الانسان فيها فما زال فى القرار » .

لقد بصق على الدنيا ومن فيها من حمقى ويطالب الذين ينفقون النقود فى تشييد قبور العظماء على الفقراء « غدا ستخلدون ذكراى وستشيدون لى قبرا بين قبور العظماء .. بصقة على قبور عظمائكم .. فلو بعثوا من الأجداث لقالوا لكم .. ايها الحمقى ، كفى سخفا اصرفوا

النقود التى شيدتم بها قبورا لتخليدنا على الفقراء من احبائكم . الفقراء الذين يتضورون جوعا ويرتجفون عريا . أيها الحمقى احيوا احياءكم خيرا من أن تحيوا ذكرى موتاكم » .

ويؤكد السباعى على هذه الصورة المقززة فى رواية « أرض النفاق » فى حديثه عن المواصلات .. وازدحامها ويصور ضيق بطل الرواية بهذا المنظر ولكن ماذا يفعل فى أمة فوضى مثل هذه الأمة التى يأكل « الفهلوية » خيرها وينسونها عندما يصعدون السلم الى آخره « وتلك هى علة البلد .. أن الذى يحس بالمصاب لا يملك منعه .. والذى يملك منعه .. لا يكاد يحس بوجوده » فالشعب الذى يحس بمشكلته عاجز عن صنع أى شىء لأنه فريسة الفقر والجوع والحرمان ، أما الحكام الذين يتقلبون فى النعيم فلا يشعرون بما يعانيه الشعب من الآم .. هذه آفة البلد .. مصائبها فى ابنائها « ان شر ما فى المصاب ان الذى لا يحس يستطيع أن يفعل . ولكنه لا يفعل لأنه قرير هانىء .. أما الذى يحس . فهو لا يفعل شيئا لأنه أعجز من أن يفعل » .

ويستمر يوسف السباعى فى الكشف عن المنافقين الذين يخدعون الناس بمظهرهم ويحظون باحترامهم ففى قصة « فى جهنم » يفاجأ بأشخاص لم يتوقع أن يراهم « لقد أبصرت كل أنواع الناس .. أصحاب اللحى والمسابح

والعمائم .. واصحاب الذنوب والخطايا والجرائم .. كلهم قد زج بهم هنا .. فى جهنم .. لقد استطاعت ستر النفاق وحجب الكذب والرياء ان تستر شرور البعض فى الأرض ، فبدوا .. خيارا ابرارا . اما فى السماء فقد رفعت الحجب وازيلت الستر .. فاذا كلهم انجاس مناكيد ، واذ كلهم زبائن جهنم » ورغم هذا يرفضون العودة الى الأرض لأن نار جهنم أخف من الأرض وما فيها من شرور وآثام .

لقد اهتم يوسف السباعى بالانسان باعتباره الدعامة الأساسية فى المجتمع وهو الذى يملك ارادة التغيير ، يملك ارادة تحقيق التقدم للمجتمع ، لقد شغل السباعى بقضيتين هامتين هما الأخلاق والحرية .. حرية الفرد فى مجتمعه .. لأنه لا خير فى امة ضاعت الأخلاق فيها كما يقول الشاعر .

انما الأمم الأخلاق ما بقيت

فان همو ذهبت اخلاقهم ذهبوا

ان السباعى يرى فعلا ان الأزمة العالمية فى جوهرها هى ازمة اخلاق ، وهو بذلك يشير الى مأساة الانسانية فى الحربين العالميتين . وهى نفس نقطة الانطلاق التى بدأ منها نجيب محفوظ فى روايته « زقاق المدق » (فن الرواية عند السباعى .. د. نبيل راغب) لقد عنى

السباعى بالقضايا الاجتماعية والسياسية وعبر عنها تعبيرا دقيقا بصدق وحرارة لذلك تجاوبت معه الجماهير بسرعة لأنها وجدت نفسها فى أعماله .. لقد صور الحياة المصرية تصويرا حيا من خلال النماذج التى اختارها من صميم الحياة المصرية ولذلك جاء الفن القصصى والروائى فى أدبه معنيا بالتجارب الانسانية وبالاتجاهات الفلسفية والاجتماعية والنفسية ، فيها يصور الانسان فلى انه مخلوق حى ذو جوانب نفسية متعددة ويواجه موقفا خاصا . فليست القصة أو الرواية فى رؤية السباعى تقريرا عن التجربة ولكنها تصوير حى للتجربة يوحى بمعان انسانية ونفسية هامة تتراءى من خلال الموقف الخارجى (الرؤية الابداعية فى أدب السباعى ــ د. عبد العزيز شرف ، ورجاء شعير) .

لقد استطاع السباعى بقدرته الفنية ان يحول كل ما هو خاص الى شىء عام يهم كل الناس ولذلك حدث الاتصال بينه وبين الجمهور لأنه استخدم ــ على حد قول الدكتور/ عبد العزيز شرف ــ مواطن الشبه فى التجارب وسيطر على عناصرها ، وذلك أن السباعى يتسم اتصاليا بالشجاعة والعزيمة والاقدام وحسن النية والتواضع وعدم الغرور والأمانة والانسانية وروح الأعلى وهى شروط الاتصال الجيد » .

لقد تميز السباعى بطريقة تناوله لهذه القضايا

بأنه تناولها بروح خفيفة فكهة وأسلوب ساخر احسن توظيفه ليحقق التغيير الاجتماعى .

لقد تمثل السباعى مصر فى كل عمل من اعماله فجاءت نماذجه من صميم الحياة المصرية تحمل سماتها ومقوماتها كما فى مجموعة « بين أبو الريس وجنينة ناميش » وأمة ضحكت . والشيخ زعرب ، مستخدما اللغة السهلة البسيطة لتوصيل أفكاره الى المتلقى واشراكه فى تجربته لاحداث التأثير المنشود عليه ودفعه الى العمل الايجابى وبذلك يتحقق الغرض المطلوب من العمل الفنى ، لقد التزم السباعى بقضايا الانسان ولكنه صاغها صياغة فنية تبعد العمل الفنى عن الدعاية والسذاجة وهذا الالتزام نابع من ايمانه كفنان بوجوب تحقيق العدالة والحرية والتقدم ، نابع من فهمه لتاريخ مصر وحضارتها .

أرض النفـاق
والارادة الانسانيـة

يعتبر أدب يوسف السباعى صورة صادقة للمجتمع لأنه انعكاس حقيقى له وهـذا نتيجة احتكاكه المبـاشر بمشاكله ، ويتفرد السباعى بطريقة المعالجة فهو ينطلق بموضوعه من المحلية الى النطـاق العالمى لأنه يخاطب المشـاعر الانسانية ، وهـذا النوع من الأعمال الفنيـة لا يرتبط بعصر معين .. لقد عالج السباعى فى أعماله الحب .. الأخلاق .. الحرية .. الموت وهـذا كله يهم الانسان فى مصر وفى أى مكان على هـذه الأرض . لقد اختار نماذجه من الحياة المصرية ، تشيع فيها الروح المصرية والنكتة المصرية وهذا ما جعل القارىء الغربى عندما ترجمت أعماله الى لغته ينجذب اليها لأنه يريد ان يعرف عن مصر كل شىء .

حضـارتها .. وفـكرها .. وتطورها .. ولقـد استطاع يوسف السباعى ان يحقق هذه العالمية لاهتمامه كما قلت بالانسان عامة .. ويتمثل هذا فى أعماله الأدبية

فمثلا فى « رد قلبى » يسجل أحداث ثورة ١٩٥٢ باعتبارها طفرة هامة فى تاريخنا المعاصر « ويبدو لى أن سبب اهتمامى بهذه القصة .. هو يقينى بضرورة تسجيل الأحداث الخطيرة التى حدثت فى تاريخنا المعاصر .. وثقتى بأنى بصفتى العسكرية .. أقدر الكتاب على تسجيلها بحكم خدمتى فى الجيش واحساسى بالمشاعر التى أدت الى حدوث هذه الأحداث التى غيرت وجه التاريخ فى مصر » وفى « السقا مات » يقدم السباعى صورة حقيقية للحياة المصرية فى الأحياء الشعبية بعادات أهلها وتقاليدهم فى المناسبات والأعياد بجانب معالجته فكرة الموت وكيفية تحديه من أجل الحياة .

وفى « نحن لا نزرع الشوك » تدور حول البحث عن الذات ، ومجموعاته القصصية « بين أبو الريش وجنينة ناميش » و « أرض النفاق » و « يا أمة ضحكت » و « الشيخ زعرب وآخرون » كلها تقدم صورة صادقة للحياة المصرية من خلال لوحات فنية .. لقد قدم يوسف السباعى أعماله فى شكل بسيط بعيداً عن الغموض والتعقيد ولكنها ثرية فى مضمونها وفى فكرها . وهذا ما حقق العالمية لتشيكوف فى اعماله الانسانية فنحن لا ننسى قصته القصيرة « موت موظف » و « لمن أحكى كآبتى » ولا ننسى « آلام » لمكسيم جورجى و « نهر الدون الهادىء » لمشولوخوف و « العجوز والبحر » لهمنجواى

واعمال شكسبير المسرحية « وكوخ العم توم » للكاتبة بيت يتبشر ستو لأنها أعمال لا تصور الواقع المحلى فقط ولكنها تنطلق الى آفاق انسانية أرحب تشمل الانسان فى كل مكان ، يجد نفسه فيها فيتعاطف معها ويشارك أبطالها مشاعرهم .. والسباعى أيضا يجد الانسان نفسه فيه فى كل مكان .. همومه .. واخلاقه فى أعماله .

ورواية « أرض النفاق » التى نتحدث عنها هنا تضع الانسان فى أى مكان فى مواجهة صريحة مع نفسه ليكسر حاجز الخوف ، لينزع ستر النفاق ويتقدم لتغيير واقعه المر « يا أهل النفاق !! تلك هى أرضكم .. وذلك هو غرسكم ما فعلت سوى أن طفت بها وعرضت على سبيل العينة بعض ما بها .. فان رأيتموه قبيحا مشوها فلا تلومونى بل لوموا أنفسكم .. لوموا الأصل ولا تلوموا المرآة » .

ان السباعى يريد أن يثير فى الانسان ارادة الفعل الذى يميزه عن الحيوان .. ارادة الفعل لتغيير واقعه لأنه اذا لم يتحرك هو لتغيير واقعه المؤلم فلن يحدث التغيير « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » هذا هو الدستور القرآنى .. أليس الله بقادر على تغيير أحوال الناس وتخليصهم من الظلم والفساد ولكن الله يريد للانسان أن يكون ايجابيا ، يمتلك الارادة لتغيير

واقعه الى الأفضـــل .. فالسباعى يتمثل هــذا جيدا ويؤمن بأن اى تغيير لا يمكن ان يحدث من الخـــارج الا اذا انبعث عن داخل الانسان أولا .. يؤمن انه عندما ينصلح الفرد تنصلح الأمة . فى ختام أرض النفاق يقول السباعى انه لم يفعل سوى ان طاف بأرضنا وعرض على ســبيل العينة بعض ما بها ، وهذا عمل الفنان الأصيل الذى يمتلك الحاسة الفنية المرهفة الذى يلتقط الأحداث التى يمل عليها الانســـان العادى فلا يشـــعر بها .. ولكن الفنان يتميز عن الانسان العادى بحاسته الفنية تلفت نظره وتثير فى نفسه أشياء تدفعه الى الكتابة عنها وابرازهـــا ليلفت اليها النـــاس الغافلين وبذلك يتحقق ما يريـــده الفنـــان من فنه و «أرض النفاق » ستظل ماثلة أمامنا لا ننساها لأن الأرض لن تخلو من النفاق ولن يوجد على الأرض شعب لا يعانى من فساد الحكام ولذلك فنحن فى حاجة دائما الى تمثلها . وفى هذه الرواية استطاع يوسف السباعى من خـلال الصور والمواقف المتتابعة التى وقع فيها بطل الرواية ان يستخدم أسلوب الصدمة الكهربائية بأن يكشف الصـــورة التى تعيشـــها بما فيهـــا من قبح اما شعب يكره نفسه لأنه ــ رغم ما يشيعون عنه انـــه مصـــدر السلطات ــ يأبى ان يصلح حـــاله .. ويعالج مصابه .. ويزيل عن نفسه ذلك القيد الثقيل من الفقر والجهل والمرض .. واما انه شعب زاهد ، قد تعود ذلك البؤس الذى يرتع فيه ، والحرمان الذى يأخذ بخناقه .

تشخيص صادق وصريح لحال الشعب يصـــدر عن صدق يوسف السـباعى ويكشف عن معايشته التامـة للمجتمع وتفهمه النابع عن وعى بتاريخ أمته وما يمر بها من أحداث .

لقد أثار يوسف السباعى فى « أرض النفاق » عدة قضايا منها .. فســاد الحكم ، العدالة الاجتماعيـة . رسالة رجال الفكر .. قضية فلسطين .. لقد تجول البطل الرواية فى نواح مختلفة من حيــاة المجتمع ليقدم صورا قبيحة مقززة ليستثير فى الانسان ارادة التغيير للتخلص من الظلم .. انه يندد بالحـكام الذين يهملون امور الشعب ولا يهتمون الا بأنفسهم وتحقيق الثراء على حساب الشعب المسكين (ان شر ما فى المصــاب .. أن الذى لا يحس .. يستطيع أن يفعل ، ولكنه لا يفعل لأنه قرير هانىء أما الذى يحس ، فهو لا يفعل شيئا لأنـــه اعجز من أن يفعل) .

السباعى فى هذه الكلمات يضع يده على أصــل المشكلة .. ان الشــعب الذى يريد التغيير لا يملك أن يمنع عن نفسه البلاء والذين يملكون منع البلاء لا يحسون به لأنهم يعيشون فى عالم بعيد عن آلام الشعب « وتلك هى العلة فى هذا البلد أن الذى يحس بالمصــاب لا يملك منعه .. والذى يملك منعه .. لا يكاد يحس وجوده » .

وكيف يشعر الحكام ومنهم ابراهيم العقب نابغة الميضـة الذى كان يتاجر فى اعقاب السجائر ثم يكافح بطريقته حتى يصـل الى ان يصبح نائبا .. ان امثـال ابراهيم العقب زعيم الموجودين فى كل عصر يملكون قدرة التسلل فى اى موقع . ان قصة ابراهيم العقب زعيم « لمـامى السبارس » قصـة لا تنتهى ابدا .. والتاريخ يعيد نفسـه .. « ما بالك بالأسـياد الذين يتولون امورنـا ويتبـادلون علينـا ، الواحـد بعد الآخـر ، فلا يفعل كل منهم سوى سلام اسياده » فلابد لكل منهم اسياد يؤدى لهم التحيـة ويأتمر بأمرهم ويتلقى منهم الوحى والالهام .. ما بالك بالخطب التى يتلونهـا منذ عشرين عاما كالببغاوات ، يكرر كل منهم ما قاله سلفه حتى وانه ليخيل الى ان كلا منهم يتلو ما كتب دون ان يفهم له معنى ، فهو يتلوه لمجرد التلاوة .. اذ يعتبر ان واجبه قد انتهى عند حد التلاوة والأكثر من هذا ـ قصة ميمون الجبل ، مجموعة يا امة ضحكت ويسخر السباعى فى القصة نفسها من مجلس النواب ويطلق عليه مجلس النوام .. ويسخر أيضا من الشخصيات الكبيرة ويقول انهم اسماء كبيرة وليسوا رجالا كبارا » فكبار الرجـال يندر وجودهم فى هذا البلد .

وأمام الفساد المتفشى فى رجال الحكم الذين يلعبون لعبة الحكم الفاسدة « هذه اللعبة لعبة الحكم والحكام ، وما يتبع ذلك من انتخابات وبرلمـانات واحزاب وسياسة ، وهى شر ما ابتليت به مصر » .

ويندد بالأحزاب التى تتبارى للوصول الى الحكم ليكون وسيلة « لرخاء هذه السياسة المسماة الأحزاب ، إما رخاء الشعب وقيادته واصلاحه والنهوض به فتلك أشياء ، قد لا تأتى فى أذهان الحاكمين الا عرضا ولا تأتى أبدا » ما أحوجنا الى مثل هذه النصيحة الآن بعد عودة الأحزاب . ولا يترك السباعى الأمر هكذا ولكنه يقترح حكومة جديدة يقودها أناس جدد أنقياء لم تتلوث نفوسهم حتى يستطيعوا أن يخدموا البلد « يجب أن نضع فى الحكم فعلا رجالا لم تلوثهم الأيام ولم تلقنهم أصول التهريج ، ونفرض عليهم تنفيذ مشروعات معينة فى مدة معينة .. على أن يقوموا فى كل عام بتنفيذ الجزء الذى يجب تنفيذه خلال هذا العام ويقودوا نهضة البلاد فى جميع الشئون اقتصادية وزراعية وصناعية وعسكرية يعملون فى صمت وسكون ، ويدعون الصياح والضجيج للايتام المنهمكة فى لعبة الحكم أنه يريد حكومة تهتم بشئون الشعب بدلا من تلك الحكومة التى تترك المؤسسات والشركات تبعث بمصالح الناس فاذا لم تكن حكومة فوضى فى أمة فوضى ما تركت مثلا للشرفة على النقل تعبث بمصالح الناس .. فلا تضع فى خطوطها الا عددا ضئيلا من العربات لا يعنى بحاجة الجمهور الذى يحشر فيها كالسردين والشركة تترك السائقين ليتحكموا فى عباد الله فلا يقفون الا عندما يشاءون » .

وكما كشف بصراحة عن فساد الحكم طالب بصراحة

بالعدالة الاجتماعية لينعم المسكين بحياة كريمة تنقذه من براثن الثالوث الفقر والجهل والمرض .. يطالب السباعى بالعدالة الاجتماعية لهؤلاء الذين يقطنون الحظائر ويبيتون على الطوى ويشربون مع البهائم من ماء الترع .. ان الهياكل التى هزلت من الفقر والجـوع والحرمـان .. والأجساد التى حطمها المرض وانهكتها العلل .. لا تملك من أمر نفسها شيئا .. انها بلا حول ولا قوة .. انهـا قطيع يسير الى مصـيدة التعس فى رضـا واستسلام ونجده يؤكد هـذا فى قصة ميمون الجبل (مجموعـة يا أمة ضحكت) فيشرح أحوال البلد على لسان صاحب القرد عندما رأى تمرد قرده على حياته التى لم تتغير منذ أربع سنوات » فما بالك بالفلاحة نفسها التى مضت عليهـا عشرات الأعوام وهى لا تجد ذلك العجين الذى تقلدها فى عجنه .. وما بالك بالفلاح الذى قضى مئـات الأعوام وهو لا يجد ما يشربه سوى المـاء العكر المخلوط بكل ما فى جعبة عزرائيل من أمراض وجراثيم .

ان احساس السباعى بآلام الانسان قوى وصادق لقد طالب السباعى للشعب دائما بشيئين هامين .. لقمة العيش والحرية .. ولكى يتحقق ما يريد طالب الأغنياء بأن يتنازلوا عن جـزء من ثرواتهم .. يدعوهم الى أن يجربوا الحياة فى عشش الترجمان وزينهم .

يجب أن يجرب رئيس الوزراء والوزراء وغيرهم

من العظمـاء والأثرياء كيف يمكن لانسان أن يعيش هو وأسرته بأربعة جنيهات فى الشهر .. يجب أن يقطنوا فى عشـة من عشش الترجمـان وزينهم .. ايجـارها خمسون قرشا .. يجب أن يجربوا كيف يمكن أن يأكل الانسان لحمة مرة واحدة فى الشهر ، لحمة لا تزيد عن الفشش والأزوار والكروش التى تباع فى المدبح .. كيف يمكن لأربعة جنيهات أن تكفى حالة عائلة .. يجب أن يصوموا عن الفنى والنعيم .. لا الى الأبـد .. ولكن يصومون لمدة شهر واحد حتى يحسوا ذلك البؤس الذى لا يخطر لهم على بال .. أجل لن تنصلح الأمة .. الا اذا سن فيها قانون الصيام .. الصيام عن الفنى والنعيم .

دعوة صريحة للأغنياء لمشاركة الفقراء فى آلامهم وأن يجربوا الصيام شهرا واحدا .. دعوة تنبع من التعاليم الاسـلامية من فلسفة الصيام الذى سنه الله سبحانه وتعالى هو الاحسـاس بما يحس به الفقراء من جوع وحرمان .. لقد وقف السباعى دائما بجانب المحتاجين ولقد كان يطبق ما كان ينادى بهفى أعماله الأدبية فلم يكن يقول كلاما لا يؤمن به .. انه وقف بجانب الكثير من الناس فى أزماتهـم ومد يد المسـاعدة لكثير من المحتاجين من جيبه الخاص ولهذا كانت كتاباته تصدر من قلبه لأنه يؤمن بها ايمانا عميقا ولهذا تصل الى قلب المتلقى مباشرة ويكتب لهـا الخلود لأنهـا تعالج مشـاكل

تتجدد فى كل عصر بصور مختلفة .. فالمطالبة بالعدالة الاجتماعية لا تنتهى والمطالبة بالحرية لا تنتهى والمطالبة بكتاب أحرار يخدمون كلمتهم بشرف لا تنتهى أيضا لأنه يؤمن بأن رجال الفكر هم نبض الأمة .. هم ضمير الشعب ، فلا بد أن يكون ضميرهم نقيا حتى يكونوا عيونه التى ترى وحتى يشدوه الى الطريق الحق ويكشفوا له اى زيف أو خديعة .. يطالب السباعى رجال الفكر الا يتاجروا بأقلامهم حتى لا يصبحوا « باعة كلمات وتجار أفكار تستأجرهم الجرائد لقاء أجر شهرى فيوردون لها المقالات بكميات معروفة فى مواعيد منتظمة كأنهم متعهدو لحوم وخضار .. يكتبون لمجرد ملء الفراغ وسد الخانة .. ان الكاتب لا يكتب حين تنضج فى رأسه فكرة أو حين ينزل عليه وحى فهذه أشياء لم يعد لهم مكان فى دنيا الروتين ، يؤكد على هذه الفكرة فى قصة بصقة على دنياكم (مجموعة يا أمة ضحكت) فبطل القصة يواجه نفسه بصراحة وهو على فراش الموت ويكشف حقيقة نفسه .. كيف خدع الشعب وتخلى عن مطالبه عندما وصل الى كرسى الحكم .. لقد جرب أن يكون كاتبا .. فماذا كان ؟ لقد اصبح كما يقول عن نفسه : بائع كلمات وعلى قدر ما يدفعون لى اكتب لهم .. ولست اشك أن بائع الترمس خير منى وافضل فهو يبيع شيئا ملموسا يحس به الناس جميعا بين ضروسهم وفى أمعائهم .. انما انا ابيع لا شىء .. أبيع كلمات بعد

لحظات ستذهب مع الريح فهذا بلد لا تجدى فيه الكلمات نفعا .. انما تجدى فيه العصى والسياط ويفكر بطل « أرض النفاق » بعد ذلك فى استخدام شجاعته استخداما حسنا ففكر ان يستخدمها فى الدفاع عن فلسطين لأنه احس بأنها فى حاجة اليه والى أمثاله من الشجعان المخلصين .. ماذا فعل القادة العرب ؟ .. لم يفعلوا الا الخطب وما زالوا يبيعون الكلام ويتهمون الشرفاء بالخيانة والفلسطنيون يقتلون بيد اليهود . ان السباعى يقول لأمثال هؤلاء القادة الذين ضيعوا فلسطين بخطبهم فى حرب فلسطين ١٩٤٨ يا أمة العرب .. يا أمة الخطب .. يا أمة الحفلات والمآدب .. والله ما كانت خطبكم الا خطوبا .. وما كانت مأدبكم الا مآرب .. ان العدو ينهش جسدكم .. فلا تفعلون شيئا سوى الأنين والبكاء .. ان الخطر يدهم ابوابكم فلا تفعلون شيئا سوى العويل والصراخ ان الأنذال يسبون نساءكم ويذبحون أطفالكم وانتم تجتمعون وتنفضون وترحلون ، ثم تتشدقون بعد ذلك بشجاعة العرب يا اشباه الرجال .. ولا رجال ؟ .. كلمات جريئة قالها السباعى ١٩٤٩ فى مواجهة الحكام العرب وما أحوجنا لها اليوم لنتدبر امورنا فى مواجهة العدو الاسرائيلى الذى ينتهز فرصة اختلافنا ويضرب ويقتل فى الفلسطينيين .. لقد دافع السباعى عن القضية الفلسطينية فى كتاباته فى المؤتمرات الدولية ولكن اعمت الخيانة والغدر عيون

المتآمرين عن هـذه الحقيقة فاغتالوه غدرا .. ان هـذه الكلمات ستظل ماثلة أمامنا باستمرار لأن الوضع بالنسبة للقضية الفلسطينية كما هو منذ عام ١٩٤٩ .

لقد تناول يوسف السباعى فى هذه الرواية اهم قضايا الانسان .. العدالة الاجتماعية ، والحرية وبجانبها قضية فلسطين ويرى أن الحل لكل هـذه القضايا أن نتخلص من النفاق .. أن نواجه أنفسنا بصراحة حتى نتبين ما حولنا .. انه يدفع بالانسان الى التفكير فيما حوله ثم يتحرك لتغيير واقعه السىء .

ان السباعى كان ضمير الشعب الحى الذى يحس بآلامة وبما يعانيه ، ولذلك عبر عنه فى جميع اعماله .. كان يبصر الشعب بطريقه وما يجب ان يفعله للخلاص من الظلم لأنه كان يمتلك الرؤية الواضـحة التى تجعلـه يستشرف المستقبل ولا يغرق مع الأحـداث التى تجعله متفائلا ولا يقع فريسة التشاؤم .. وهذه القضايا التى عالجها ان كانت تهم الانسان المصرى أولا فهى قضايا تهم الانسان عامة فى أى مكان ولذلك عندما ترجمت أعماله الى لغات مختلفة تجاوب معها قارئها وأحس بها فلا توجد أرض بلا نفاق ولا يوجد شعب على هذه الأرض لا يعانى من ظلم ولا يعانى من الفقر والجهل ويناضل من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية ، ان التاريخ يعيد نفسه وعجلة الزمان تدور وتتكرر تلك المآسى ولهذا ستظل أعمال يوسف السباعى خالدة نرجع اليها دائما .

صور ابن البلد فى أدب يوسف السباعى

لقد اهتم يوسف السباعى بقضية الأخلاق لايمانه بأنها الأساس القوى الذى ينصلح به الانسان وبالتالى تنصلح الأمة .. ولذلك نراه يؤكد على هذه القضية الهامة فى كل عمل من أعماله .. وفى مستويات اجتماعية مختلفة عند المثقفين واولاد البلد وصور كلامنهما تصويرا دقيقا صادقا .. لقد عاش السباعى فى الأحياء الشعبية .. ولذلك نجده يسجل رحلته مع أولاد البلد فى مجموعته بين ابو الريش وجنينة ناميش ، ولم يكتف السباعى بوصف الشوارع والحوارى والأزقة فى رحلته التى اصطحبنا فيها من « ابو الريش » الى جنينة ناميش وسيدى الأربعين ... الى المدبح وسيدى زينهم والماوردى وسيدى الجيبى ، منتقلا الى البغالة وزين العابدين والناصرية ، والمبتديان وسيدى العتريس ، ولكنه قدم اهالى هذه الأماكن من خلال نماذج اختارها ليعبر من خلالها عن نفسية ابن البلد واحلامه وعن اخلاقياته وما يتصف به من اخلاص وشهامة وتضحية وكفاح ،

لقد وجد يوسف السباعى فى ابن البلد المطبوع على الصراحة والوضوح ، لا يعرف الدبلوماسية فى معاملاته ، نفسه كتاب مفتوح يقراه الانسان بسهولة .. لقد احبهم وعاش معهم .. لقد احب الشيخ « على لوز » (فى قصة أبو الريش) الذى يرفض أن ينافق الناس ويخدعهم عندمافرضت عليه زوجته رحمانه ان يترك شغلة الأراجوز ليحل محل حماه فى خدمة ضريح ابو الريش بعد وفاته حتى لا يضيع المنصب من العائلة ولكنه يتمرد على نفسه لانه احس بأنه يضحك على الناس « لقد كان بالأراجوز يضحك الناس ، فأصبح بلحيته وسبحته يضحك على الناس » حاول التخلص من وظيفته هذه ولكن لا يستطيع تحت تهديد زوجته وحماته فوجد الحل فى استخدام الأراجوز كوسيلة ليرضى نفسه ويشعر براحة البال بأنه لا يخدع الناس « فكر الشيخ على برهة فوجد انماتعود أن يفعله من تعاويذ وما يمنحه من بركات ليس سوى خداع فى خداع ، وأن خير ما يمنحه للمراة مخلصا هو أن يسليها ببعض اللعب بالأراجوز » وينجح فى لعبته وتسعد المراة وتذهب الى منزلها فتجد ابنها قد شفى ، وشاعت معجزة الشيخ على فى الحى « ولم يفكر الشيخ على بعد ذلك فى ترك الضريح ، فقد سره ان يعبد الله مخلصا بطريقته الخاصة ، وتركه الناس يلعب بدماه كما يشاء » .

ويعالج يوسف السباعى هذهالقضية بشكل أكبر فى روايته « ارض النفاق » هذه الأرض التى فقد أهلها الشجاعة فى مواجهة الفساد ، والجراة فى قول الحـق والمرؤة فى مساعدة الضعفاء والمحتاجين .

والسباعى يبحث دائما عن البساطة ، عن البسمة الصافية ، عن الكلمة الحلوة الصادرة من القلب ، يطالب بأخذ الدنيا ببساطة كما أخذها السيد على (فى قصـة سـيدى العتريس) هـذا الرجـل الـذى لا يكف عن الضـحك والنكتة الظريفـة والبسـمة الساحرة التى لم يفقدها حتى بعد موت ابنه الحبيب وظل هكذا حتى مات ، كانت فلسفته ان « الحياة حلوة وان المرارة فى افواهنا ومن كانت المرارة فى فيه فانه يجد مرا المـاء الزلالا .. الحياة سهلة لمن لا يركب الصعب ــ مستقيمة لمن لا يعوج ولا يلتوى .. هينة لمن يخلص .. لينه لمن يؤمن « ويرى أيضا أن الحياة حلوة .. دعها تسير .. دعها تكيف نفسها كما شاءت لا تفقدها فانها بطبيعتها سهلة » .

ونترك الشيخ على لوز والسيد على الى « زكى الجحش » فى قصة سيدى الجيبى لنجده يحلم بقضاء ليلة مع سونة البنت الجميلة ، ولكنه يهرب منها عندما تكون بين يديه قبل أن يقع فى المعصية .

وابن البلد لا يعرف التواكل والكسل ولكن يعرف الكفاح من أجل الحياة ولا يستسلم بسهولة فهذه فاطمة شيخون (فى قصة الماوردى) تحرص على تعليم ابنها بعد فقد زوجها حتى يكون حظه أحسن حالا من حظ أبيه الجزار ، وتكافح لتوفير هذه الحياة التى رسمتها لابنهـا ولكن القدر يضربها فى أحـلامها فيخطف ابنها الوحيد .

وفى روايته الرائعة « السقا مات » تعبير صادق على تحد الانسان الموت ، وتحليل دقيق لنفسية ابن البلد .. فالسيد شوشة السقا البسـيط شـهم فى مسـاعدة الأصدقاء والوقوف بجانبهم مضحيا بماله وبنفسه .. شجاع فى مواجهة المشاكل .. له ارادة قوية تحدى بها الموت الذى اختطف اباه ثم زوجته ..

لقد قدم السباعى فى أعماله صورة أمينة وصادقة للأحياء الشعبية ولابن البلد المطبوع بفطرته على الصدق والحب .. ولذا تلاقت روحه معه لأن روحه صافيـة تنفر من الشر وتحب الخـير والصـدق لقـد عبر يوسف السـباعى عن هـذه القيم الأخلاقيـة الأصـيلة فى كل كلمـة كتبهـا وكان يرى كل شىء جميـلا .. كان يحب أن يـرى النـاس مخلصـين .. أن تخـلو من النفـاق « ايه يا تاجر الحـق فى أرض النفـاق ، يا بائـع الصـدق فى دنيـا الرياء أيا مهـد الشجاعـة لمعشر الجبناء ، والاخلاص لجمع ضاع بينهم الحق وعز الوفاء ، لشد ما آلمتني فجيعتك وأوجعتنى خسارتك » ..

الدكتور نعيم عطيــة متعــدد المواهب فهو فنــان تشكيلى وله دراسات قيمة فى هذا الميدان وقصاص اصدر اكثر من مجموعة قصصية وعددا كبيرا من القصص فى المجلات الأدبية لم تنشر بعد فى كتاب ، وهو مترجم دقيق يقيم جسرا بيننا وبين الأدب اليونانى الحديث من خلال الترجمــة من اليونانية الى العربيــة ومن العربية الى اليونانية .

ونعيم عطية فى قصصه نلاحظ انه بجانب اهتمامه بالمضمون يهتم ايضا بالشكل متأثرا بالفن التشكيلى .. انه يهتم بالقضــايا الانســانية والاجتماعية وما يعانيه الانسان من مشكلات واثرها على سلوكه وما تحدثه من تغييرات ، ويريد ان يقول : ان الحب بين الناس هو اسمى هدف ويتمثل ذلك كله فى مجموعة قضية الشاويش صقر . ولحظة لقاء ، واخيرا فى قصته الطويلة « الاغراء الأخير » فهو يقدم نماذج بشرية من بيئة معينة عانت الفقر والجوع

ويضعها تحت المجهر ليبرز ما يطرأ عليهـا من تغيير فى الأخلاق وفى تعاملها مع الآخرين عندما تتغير احوالهـا الاجتمـاعية .. والكاتب يختار فى قصته شـخصيتين رئيسيتين هما « فتيحة » و « فردوس » .. يقدمهما الكاتب بشكل طبيعى بكل ما فيها من تناقضات .. الحب والكره .. القوة والضعف ... الوضاعة والأنانية .. فنجد فتيحة الذى عانى من الفقر والحاجة بعد موت ابيه وزواج أمه من رجل آخر .. يتمكن من بناء نفسه .. وتكوين ثروة من التجارة والكسب بأساليب غـير مشروعة كالربا مستغلا حاجة الناس فى الحى الذى يقيم فيه بعد ما ترك قريته .. وتحول « فتيحه » الى شخصية منفرة سادى النزعة .. يستمتع بتعذيب الفقراء الذين يقيمون فى براثنه تحت ضغط الحاجة وضيق اليد .. فبدلا من أن يكون انسانا عطوفا يرحم المحتاجين الذين يعانون الفقر كما عاناه نجده انسان جشعا يعميه المـال المتزايد فى خزينته .. تحول الى انسان انتهازى يعرف بوسائله الحقيرة كيف يصـل الى ما يريده .. أصبح يؤمن بأن كـل شىء بثمن .. النـاس عنـده « يباعـون ويشترون » ولذلك نراه « يشحذ تفكيره كيف يشترى الشخص بأبخس الأثمان » .. لقد جعله المال ظالما وناسيا ربه واصبح لا يفكر الا فى كيفية اذلال الناس ليشبع عقدة النقص التى ترسبت فى اعماقه واصبحت تسيطر على كل تصرفاته .. أصبح شعاره « سوف أجعل بمالى

كل رجل رهن اشارتى ، وكل امرأة طوع بنانى ، يكفى ان اصل الى ان اكون غنيا » .

وظل فتيحة يشرب من بئر الطمع ولا يشبع .. ويتأخذ باذلال الناس ويدفعه هذا الاحساس الى امتلاك امرأة لتكون زوجة له .. فيفكر فى « فردوس » وهى الشخصية الثانية الرئيسية فى القصة وهى التى تقوم بخدمته باخلاص وأمانة وكبرياء صامت .. لا تتكلم ولكن لها نظرات تعبر عما تريد أن تقول بوضوح .. لقد أراد فتيحة أن يشترى فردوس بماله كما يشترى كل الناس .. حاول اغراءها بالذهب الذى جمعه من دم المحتاجين .. ولكن لم يهتز لها رمش ولم تنطق بكلمة .. غاظه تصرف « فردوس » الذى يدل على اعتزازها بنفسها .. ويكرر محاولاته .. وأخيرا تقبل فردوس فى كبرياء الزواج منه .. وبعد ان يحقق امنيته تلح عليه أمنية اخرى وهى انجاب ولد يحمل اسمه .. ويفجر الكاتب هذه الرغبة من خلال موقف يعيشه فتيحة وهو موت صديق عمره شعبان .. ورأى أولاده يقفون فى السرادق يتلقون العزاء .. عرف أن صديقه لم يمت لأنه ترك ذرية من بعده .. أفصح لزوجته عن رغبته فى الانجاب ، وحاول مرات ولم ينجح ، فصرخت فيه ذات ليلة « عبثا تحاول يا فتيحة ، تعذب نفسك وتعذبنى ، فلنرض بقليلنا ، ونغلق الباب علينا ، كل شىء فى غير أوانه ممجوج غير مستحب ، بل وايضا خطر وضار ،

(فان الوقت الا يا فتيحة) . فلتراع ذلك ، ولنظل على ما نحن عليه ، دون أن ننبش بحثا عما ليس لنا ولسنا عليه بقادرين » .

بهذا الموقف يحدث الكاتب المواجهة بين الشخصيتين .. فتيحة بطمعه وفردوس بصراحتها المؤلمة لتجعله يواجه الحقيقة ويقنع بها ليعيشا فى أمان ويشكر الله على كل ما يعطيه لهما .. ولكن فتيحة الذى تعود أن يصل الى كل شيء يريده عذبه فشله فى انجاب ولد .. يفقد أعصابه .. تسرى فى كيانه رعشة المهانة ويكشف الكاتب عن شخصية فتيحة فى رسمه لهذه الشخصية فيقول « جبل فتيحة الأشول على الجبن ولاشك ، ولكن رائحة الكسب الكبير كانت طعما يجذبه اليه وينسيه ما عداه » .. لقد تبلدت مشاعره فالمهانة التى يشعر بها « لم تكن احساسا غريبا عنه على أى حال ، كل حياته أمضاها فى ذلة ومهانة » .

وفتيحة لالحاح الزوج فى الانجاب وتحت ضغط حالة فردوس .. يقدم الكاتب مبررا لتغير شخصية فردوس من الهدوء والشرف والكبرياء الى امرأة ساقطة .. باعت البيت وعاشت مع عشيقها لتروى ظمأها الأنثوى الذى فجره فتيحة بعجزه معها .. وتنجب ولدا .. ولا يفكر من أين أتت به .. ويسعد به سعادة لا حد لها .. ويتفجر فى أعماقه ينبوع الحنان .. ويمعن

الكاتب فى ابراز ضعف شخصية فتيحة وانحداره فى هوة المهانــة .. ليبين انــه وان كان امتلك المــال وامتلك « فردوس » فانه فقد شيئا اكبر من ذلك وهو الكرامة .. لقد هربت زوجته مع عشيقها المصوراتى .

يعيش فتيحة مع ابنه .. ويعطى نفسه له كاملا .. أعطاه الحب والحنان ولم يبخل عليه .. طارحا خلفــه شائعات أهل الحى عن سلوك زوجته المشين وعن ابنه « حمامة » .. وامتدادا لسلوك فتيحة الذى يتلاءم مع اخلاقياته .. أخذ يقنع نفسه بالتأمل فى تقاطيعه ليجد شيئا يشبهه .. يكبر الطفل ويموت فى حادثة .. ويموت الأب وينهب أهل الحى امواله التى امتصها من دمائهم .. وفى لمحة سريعــة يكشف الكاتب عن النفس الانسانيــة وما فيها من ضعف ، فصديقه الحميم زيكو الذى اخــذ يدفع عنه الناس ويقف على جثته ، يجد عشرة جنيهات ملقاة على الأرض فيلتقطها ويغــادر الشقة وهو يقول « خسارتك يا فتيحة .. سأشرب كثيرا حتى أنساك » .

افهذه النهاية التى انتهت اليها القصــة .. موت الابن وموت الأب .. وموقف الصــديق .. ترمز الى ان كل شىء يقوم على غير اساس سليم مصيره الى نهاية مأساوية .

لقد قدم الدكتور نعيم عطية شخصيتى الروايــة تقديما واضحا من خــلال رســمه الدقيق الخــارجى والداخلى كاشفا عما فى أعماقهما من بذور الانحدار وان

كانت شخصية فتيحة من الشخصيات الثابتة التى لم تتغير فى القصة فان فردوس شخصية متغيرة .. فقد قدمها الكاتب بوضوح فى هذه الكلمات التى ساقها عنها « فهى بالرغم من أنها خادمته ــ أى فتيحة ــ لم تستذل له ، بل هى تأتى الى بيته كل يوم ؛ وتجوس بين أرجائه مرفوعة الرأس تستمد شموخها من قناعة داخلية وعزة نفس جنبتها ما قد تقود اليه الخدمة فى البيوت من صغائر » .

ثم تحولت من امراة راضية بواقعها الى امراة ساقطة نتيجة الظروف الجديدة التى ضغطت عليها .. فتيحة من ناحية وحالتها الطامعة فى ثروة فتيحة من ناحية أخرى .. ويريد الكاتب ان يبين أن الانسان اذا كان ضعيف الارادة يمكن أن يؤثر فيه اى عامل من العوامل التى تعترض حياته .

لقد أدار الدكتور نعيم عطية الصراع فى الرواية على مستويين الأول .. التصادم بين فتيحة وفردوس، والثانى .. الصراع الداخلى الذى تفجر فى أعماق فتيحة وكان هذا الصراع السبب فى نمو الأحداث وجعل من الشخصيتين الرئيسيتين مجرى لأحداث الرواية .. ولأن هاتين الشخصيتين غير سويتين فقد دمرا وتسببا فى تدمير كل شىء حولهما .

ورغم النهاية المأساوية للشخصيتين بالموت فقد نجح الكاتب فى جعلنا لا نتعاطف معهما نتيجة تصرفهما

المشـــين طوال الروايـــة . أما الشـــكل الروائى ، فلقد استخدم الكاتب ضمير الغائب ومزج بين الماضى والحاضر ليطلعنا على عوالم شخصياته والجوانب الخفية فيها .

والدكتور نعيم عطية ينتقل من الخاص الى العام من خلال استخدامه للمقولات والحكم والأمثال ، وهى وسيلة من وسائل حضور الكاتب ، وهــذا اعطاه فرصة ليطل علينا من خلال شخصياته ، فلنستمع الى حديث فتيحة عن الانجاب « راح يراجع نفسه . هل هو غير قادر حقا ؟ نهائيا غير قادر ؟ هل الأمر قسمة ونصيب ، والمكتوب لابد أن تراه العين . أم مـــاذا ؟ لا معنى لذلك ، بل لا يمكن أن نتصور أننا لا نوجد . لمـــاذا اذن وجدت الأرض ، ان لم تكن كى نوجـــد عليها ؟ ولمـــاذا نوجد ؟ اهناك جـــدوى من الا يوجد » .. نسمع هنا صـــوت الكاتب .

ان الدكتور نعيم فى هذه القصة يؤكد على معنى انسانى . هو أن الانسان لا يعيش بمفرده ولكن يعيش مع آخرين فعليه أن يتعاون معهم .. انه يتعاطف مع الاحساس الجماعى ويرفض الفردية .. لأن مع الجموع يجد الانسان الأمان . ان احساسه الجماعى هذا يتبلور فى هذه الكلمات التى تختم بها هذه الدراسة « ما أبغض ان نقول أنا ، وما أصوب أن نقول نحن » .

وهذه النظرة الجماعية الانسانية يؤكد عليها الكاتب دائما فى أعماله القصصية .

العـودة الى الحـب
والأمـل فى النصر

تعتبر هزيمة يونيو ١٩٦٧ معلما رئيسيا فى تاريخ مصر ترك بصماته الواضحة على نواحى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وليس هـذا فقط بل امتد أثرها الى الانسان المصرى الذى اكتشف الحقائق المرة ، فأحدثت شرخا كبيرا فى نفسيته ادى الى تمزقه وضياعه لفقدانه الثقة فى كل شىء وضياع احلامه التى صاغتها شـعارات جوفـاء كاذبة سرعان ما تهـاوت عند أول اختبار .

وانطلق الأدباء يعبرون عن هذه الهزيمة الشنيعة التى جرحت الكبرياء المصرى وقد وقف بعض الأدبـاء عند حدود الندب والعويل وفقدان الأمل فى المستقبل وغالوا فى ذلك وأشاعوا روح اليأس فى الانسان المصرى وليس هذا فقط لقد أصبحت اعمالهم مرجعا ترجع اليه اسرائيل لدراسـة الروح المصرية ومناحى تفكير الانسان المصرى واقامت استنتاجاتها وتوقعاتها بناء على هـذا

الأدب .. ولكن الحقيقة اثبتت عكس توقعات هؤلاء الأدباء الذين لم يفهموا روح الشعب المصرى . وتحقق النصر فى أكتوبر عام ١٩٧٣ تحقيقا لتوقعات وتنبؤات مجموعة من الأدباء وعوا تاريخ أمتهم وعيا كاملا ودرسوا تراثهم دراسة دقيقة فعبروا عن روح هذه الأمة الوثابة بناء على رؤية واضحة تستشرف المستقبل المنتصر وترفض الهزيمة انتقاما للكرامة والشرف وثأرا لدم الشهداء الزكية. كما فى قصة « للزمن بقية » للشهيد يوسف السباعى تبرز ارادة المقاتل المصرى القوية وشجاعته فى مواجهة العدو الاسرائيلى وكيف لقنه درسا فى شدوان فى المقاومة العنيدة لا ينساه .. واستشرف يوسف السباعى المستقبل المنتصر وكذلك نرى فى بعض قصص يوسف الشارونى التى يعبر الرمز فيها عن روح المقاومة ، ورواية « العودة الى الحب » للأديب عبد البديع عبد الله ، وان كانت هذه الرواية صدرت فى عام ١٩٨١ حسب التاريخ المكتوب عليها الا انها تكشف عن وجهة نظر كاتبها وموقفه من الهزيمة ورؤيته للمستقبل آنذاك .. والكاتب يدير أحداثه بين ثلاث شخصيات رئيسية هى السفير أحمد رشدى رجل الثورة ، رجل ناجح فى عمله مرموق ، ليلى طالبة الجامعة التى تبيع حب زميلها شوقى انبهارا بأحمد رشدى وجريا وراء الثراء والأمان المادى فى كنف احمد رشدى حسب نصيحة أمها ، شوقى زميل ليلى فى الكلية وحبيبها .

بين هــذه الشخصيات الثلاث صحبنا الكاتب فى رحلة فى أعماق هذه الشخصيات وفى عقولها .. عشــنا مع هذه الشخصيات فى سموها ونجاحها وانهزامها ، فى قوتها وضعفها والكاتب فى كل حالة من هذه الحــالات يستنبط كل شخصية كاشفا عن اعماقهــا كمــا يقدم ســلوكها اليومى وكيفيــة مواجهتهــا للأحــداث .. أما الشخصيات الثانوية مثل أم ليلى وصــديق شوقى ، ومظاهرات طلبة الجامعة احتجاجا وبحثا عن الحقيقة فهى لتعميق الأحداث أو لخلق حوار مثير يدفع الشخصــية الى التفكير فى الأحداث التى تحيط بها .

فعندما ننظر الى « ليلى » نجد أن الكاتب من أول لقاء معها يبين كيف أنهت قصــة حبها مع شوقى بكلمات روتينية لا قيمة لها دون اعتبار لمشاعره وما تسببه له من آلام « شــوقى احبــك كأخى وانت لطيف ونحــن صديقان » .. وكتم شوقى صرخة الألم رافضا أن يضعف أمامهــا . باعت ليلى حبهــا بهــذه الكلمات لقاء الثراء والحياة » .. وكان لهذا أثره فى تغيير مسار شوقى .

وأحمد رشدى شخصية مرت بمرحلتين .. مرحلة النجاح فى العمل والثقة التى يحظى بها من القيــادة ، ومرحلة انهزامه عند خروجه من وظيفته وفقدانه بريق السلطة وتحوله الى تاجر دواجن جشع . ويدير الكاتب الصراع بين ليلى وأحمد رشدى مبرزا المشاعر الجديدة

الانهزاميـة التى سيطرت على أحمد رشـدى وفقدانه الثقة أيضا فى القيادة « خلاص البلد غرقت . كل واحد يقول يا لله نفسى . أنا ومن بعدى الطوفان » .

اصابه شـعور بالقرف والضيق « الأفظع منه ان ننحط هنـا ويحرموا البلد من خبرتنـا بلا سبب حتى المحاكمة العادلة . أنا شخصيا لا أعرف ذنبى .. ضابط ناجح ، دبلوماسى لامع ، لمـاذا أبعد عن منصبى ؟ هـل تصفية الحسـابات القديمـة بين القـادة يدفع ثمنهـا الرجال ، قلنا مائة مرة ان ولاءنا للثورة بلا حدود ، مع ذلك لا يصدقنا أحد » الثقة مفقودة بين الجميع الكل يبحث عن الخـلاص .. وبتغير الوضـع الاجتمـاعى لأحمد رشدى بتحوله الى تاجر دواجن جشع لا هم له الا الكسب بأى شـكل .. فتخلى عن مبادئـه وحينئذ احست ليلى أنها باعت حبها من أجـل رجل أصبح فى نظرها أنه لا يزيد عن أى لص مخادع كاذب .. يدفـع لموظف صـغير أو كبير ليأخـذ ما لا يستحقه . ويفخر بالعمل الحر والنجاح المستمر والأموال التى تجعل منه ثريا وجيها من وجهاء بلده ويستمتع بالحياة والسعة ، وغيره يقفون حائرين فى المظاهرات أو خلف أسوار المعتقل يبحثون عن جواب لسؤال أصبح من كثرة تكراره طقسا بلا معنى « أحسست بالفرق بين أحمد رشدى القوى الجدير باعجابهـا وأحمـد رشـدى التـاجر مصاص الدمـاء لا فرق بينه وبين أى خائن حرب » للأسـف لا فـرق

بينكما فنفس الوسائل تؤدى الى نفس النتائج ، احدكما يسرق السعادة من قلوب الناس ، والآخر يسرق قوتهم .. والشباب .. يعرض صدورهم للرصاص ومرضت ليلى نتيجة احساسها بهذا التناقض الحاد فلم تجد مفرا من الرجوع الى الجامعة بين الطلبة لتشاركهم فى نشاطهم ولتكفر عن خطيئتها وخطيئة زوجها .. وهنا نجد ليلى تحاور زوجها بحدة وانفعال أولا لتوقظه من غفوته ويعود الى قوته وارادته ثم ثورة على جموده وتبلده .. وهنا نراها تسترجع حبها لشوقى الذى سافر خارج البلاد .

فشخصيات الرواية شخصيات متطورة تعيش حياتها تؤثر فيها وتتأثر بها ولكنها فى كلتا الحالتين تواجه مواقفها باستسلام حينا انتظارا لتغيير يحدث فى المستقبل (احمد رشدى) وحينا يتصادفها مع واقعها فى محاولة لتغييره دون النظر للنتيجة (ليلى) أو تقبل الصدمة بهدوء مخفيا مشاعره حفاظا على كرامته (شوقى) .. والكاتب يدير أحداث روايته دون انفعال محاولا أن يقدم أسباب هزيمة يونيو واثرها نفسيا فى الانسان المصرى وفى المجتمع ولكن دون استسلام متفائلا بالنصر ولكن دون خطابية معتمدا على المواقف التى تبرز ارادة المقاتل المصرى (رؤية شوقى لمعنى حرب الاستنزاف) تتجلى هذه النظرة التفاؤلية فى نهاية الرواية عندما نجد أحمد رشدى فى الجيب العسكرية يبحث عن زوجته ليلى بعد

انفصالهما ليسلمها ابنهما الطفل معترفا لها بأنه يحبها ؛ ولم يحب غيرها ويتضح ذلك فى هذه اللوحة التى ختم بها الكاتب روايته « سبحت صورة الأيام البريئة فى مخيلتها، وعلى الرصيف كانت اليد الصغيرة تضغط على كفها البض ، وفى الزحام لم تر سوى اشباح . تداخلت الرؤى فى عينيها ولم تفهم شيئا فتحول الجو الى لوحة سريالية متعددة الألوان متداخلة ، لم تجد سوى حقيقة واحدة عليها ان تواجهها بشجاعة فمسحت بطرف بنانها عينيها وشدت بقوتها يد الصغير الناعمة .. كان الصغير ينظر الى امه سعيدا ويخبط باحدى قدميه الأرض ووجهه متفتح سعادة » .

لقد تنبأ الكاتب بالنصر عندما يعود الحب الى بلدنا ونعمل بجدية لبنائها « لم يعد لدينا شيء نعتد به الا حبنا لبلدنا والشعور بالذنب والرغبة فى الثأر . ونحن نبدأ من تحت الصفر » وتحققت نبوءة الكاتب فى اكتوبر ١٩٧٣ التى أوردها على لسان شوقى فى تخيله للعبور وتحطيم حصون اسرائيل التى ظنت انها تحميها من اى هجوم والرواية كما قلنا ـ لأن الكاتب يعالج أحداثها دون انفعال ـ انقذت الرواية من التقريرية والمباشرة كما انه استخدم بقدرة فنية الضمائر فقد استطاع ان يستخدم ضمير المتكلم من خلال المونولوج كتأنيب للنفس او استرجاع لذكريات . فليلى تعود الى اللاشعور لتسترجع حياتها مع أحمد رشدى وتذكرها حب شوقى .. ثم الانتقال الى

ضمير الغائب وقد تمكن الكاتب من التنقل عبر الزمان والمكان لتقديم اكثر من صوت .. واكثر من رؤية ويتضح ذلك فى تقديمه لشخصية ليلى ورايها فى الهزيمة ، فى فصل ، واحمد رشدى فى فصل آخر ، وشوقى ورؤيته اللازمة التى يعانى منها : ازمته الخاصة مع ليلى ، وازمته العامة انعكاسا لحال البلد بعد الهزيمة .. ورؤيته للناس « كيف يحدث هذا ؟ لماذا يتغير الناس ؟ لماذا يأكل الانسان الانسان ؟ لماذا يزداد الذئاب والأفاعى ؟ اهو عصر المرتزقة ؟ أم عصر شريعة الغاب ؟ كل الجرائم تتم بهدوء شديد وابتسامة الناس يبتسمون للقتلة ، يطبلون للشر ويزمرون » .

كما استخدم الكاتب التكنينك السينمائى فقد لجأ الى استخدام اللقطات والتقطيع للتنقل بين الأزمنة والأماكن المختلفة . ويتضح هذا فى اللقطات المتتابعة لوصف مشهد الهزيمة (ص ١٠) ، وفى رؤية شوقى للنصر فى المستقبل من خلال عرض مناظر مختلفة للعبور (ص ١٣٤) ووضع الكاتب الأمل فى الطفل الصغير كرمز للمستقبل المشرق الذى ذهب والده احمد رشدى للحرب ولمحو العار .. وتشعر ليلى بالهدوء النفسى عندما عاد زوجها الى نفسه .. واصبح احمد رشدى الذى عرفته . كما ان الحوار استخدمه الكاتب للكشف عن ابعاد الشخصيات ولذا جاء الحوار معبرا عن كل شخصية .. كما ان الجمل جاءت متناسقة تحمل

شحنات النفسية للشخصيات فهى تقتصر وتطول حسب الحالة النفسية .

لقد أثبت عبد البديع عبد الله قدرته الفنية فى هذه الرواية كما اثبتها فى قصصه القصيرة « حكاية الطين الأخضر » التى كشفت عن موهبته وايمانه بالانسان وقدرته على العمل والبناء اذا امتلأ قلبه بالايمان والحب . وهذا ما أكده فى هذه الرواية من ناحية الشكل والمضمون اللذين نسج منهما الكاتب روايته .

مسافة بين الوجه والقناع

لقد أثبت القاص نبيل عبد الحميد فى روايته « مسافة بين الوجه والقناع » أنه كاتب يمتلك أدواته الفنية ، فقد نسج أحداث الرواية نسجا جيدا اتحد فيه الشكل والمضمون ، ورسم الشخصيات رسما دقيقا حدد فيها ملامحها ومستواها الفكرى والاجتماعى ، واستخدم الحوار استخداما جيدا ساعد على نمو الأحداث وتعميقها .

فى هذه الرواية يحاول الكاتب الوصول الى الحقيقة من خلال البحث والتقصى عن كيفية اختفاء « عطيات » بطلة القصة وأسباب اختفائها ، ويحاول أيضا أن يبين أى الطريقين يوصل الى الحقيقة : البحث العقلانى الذى يعتمد على الفروض والحجج والبراهين أم الاهتداء الى الحقيقة عن طريق القلب .. بالصفاء الروحانى .

يبدأ الكاتب روايته باختفاء عطيات فى ليلة عرسها وهى مع عريسها المهندس « حسن » ابن خالتها ..

يحضر وكيل النيابة ويتولى التحقيق للوصول الى حقيقة اختفاء عطيات ومدى معقولية اختفائها فى عمود مسلح فى أحد اركان الحجرة .. وتتواتر وجهات النظر والآراء المختلفة حول اختفاء عطيات من خلال لقاءات وكيل النيابة بوالدها الحاج رجب السبكى الذى يعمل مقاولا للمبانى ويساعده المهندس حسن العريس ووالدتها .. ومن سكان العمارة .. رفعت بك وزوجته جليلة هانم وأبنتهما سوسن والشيخ متولى المتصوف الذى يمثل فى الرواية الجانب الروحانى ويرفض الوصول الى الحقيقة عن طريق العقل .. وابنه بهجت الشاب المستهتر .. وبواب العمارة .. وعباس المصور الذى كان يقوم برسم صورة لعطيات .

كيف اختفت عطيات ؟

سقطت فى عمود مجوف اكتشفه وكيل النيابة فى الحجرة .. ووجد فيه أشياء مختلفة تخص عطيات وتخص الشخصيات التى ورد ذكرها فى الرواية .. ايصالات قديمة بتوقيع المهندس حسن لصالح الحاج رجب ، عصا الطباخ الأسطى مختار ، باروكة لسعاد اخت سوسن .

يبدأ وكيل النيابة فى الاتصال بهذه الشخصيات ويستمع الى أقوالهم المختلفة .. فيقع فى حيرة ولكنه يصر على الوصول الى حقيقة اختفاء عطيات .

ولكنه لا يصل الى حقيقة اختفاء عطيات نتيجة الأقوال التى ادلت بها الشخصيات والتى لم يستشف

منها الحقيقة .. فالحـاج رجب يتحدث عن المهنـدس حسن حديثا يظهر فيه حرصـه على مصلحته لأنه هو الذى رباه ورعـاه ، والمهنـدس حسن يقرر انه يحب عطيات وانه انقذها من والدها البخيل الذى كان يضيق عليها .. اسماعيل الجارحى يقرر أن عطيات ماتت من الجوع لأن الحـاج رجب بخيل ، بهذا الحوار الجـاد نشترك مع وكيل النيابة فى التحقيق الدائر للوصـول الى اختفاء عطيات .. ونشعر مثله بالحيرة نتيجة أقوال الشخصـيات التى تقرر بالدليل المـادى انها موجودة ويعرفونها معرفة تامة ، فالمصور يعترف انها كانت تحضر اليه ليصـورها ، وعبـاس يقرر انها كانت سـعيدة ويتساءل لمـاذا تقتل نفسها ؟ الأمر مجرد لعبة تقوم بها وقطعا ستعود الى الظهور ثانية .

والمصـور يقول لصاحبته عندما سألته أن ترى وجه عطيات : « ولكنها بدون وجه .. اقصد لن ترى وجه عطيات » .

يريد الكاتب ان ينطلق بنا من نطـاق جريمة اختفاء عطيات الى المعنى العام الذى يبغى الوصول اليه .

وعندما يسأل وكيل النيابة خيشة اخو عطيـات يقرر « انا لا احب عطيات .. لا تريد أن تلعب معى .. وانا عندى زجاجات كثيرة العب بها .. هى تلعب مع

بهجت فى المخزن .. وانا العب مع النمل .. عندنا نمل كثير .. عطيـات لا تحب النمـل .. أقول لها اتركى بهجت وتعالى نلعب انا وانت والنمل فتقول ابتعد عنى .. النمل غضب منها .. لأنها لا تريد أن تلعب معه .. النمل كثير ويلعب معى تحت .. النمل غضب من عطيـات واكلها .. وانا قلت للنمل انت جدع يا نمل لأن عطيات لا تسـمع الكلام .. النمـل عنده حاجات كثيرة تلعب بها .. وعنده بيوت واكل كثير .. عطيات كانت تضرب النمل بقدمها وهى تلعب فى المخزن وانا كنت أقول لها لا تقتلى النمل يا عطيات .. النمل يغضب يا عطيـات ولكنها لم تسمع كلامى .. بهجت يدوس النمل بقدميه ويضحك .. النمل سـيأكله كما أكل عطيـات فى بئر السـلم » .

وعندما يسأل وكيل النيابة بهجت ينكر معرفتـه بعطيـات بحسـم « لا أعرفهـا بالتأكيـد .. عطيـات مستحيل .. عطيات تسـكن هنا فى العمارة .. وانـا لا أعرف أو هذا معقول ؟ » .

ويؤكد هذا بواب العمارة بأنه لم ير عطيات مطلقا ، وفى مقابل ذلك يقرر رفعت بك وجليلة هانم وسـوسن واسماعيل الجارحى بأنها كانت فتاة طيبـة وسمعتها طيبة ، وبعد ما أعيت الحيلة وكيل النيابة ووجد نفسه فى متاهات الحيرة ولم يصـل الى الحقيقة .. يقـابل

الشيخ متولى وهو ينير الطريق امام وكيل النيابة .. وعندما يسأله ينصحه بأن يبتعد عن كل شيء للوصول الى الحقيقة .. يطلب منه أن يتحرر من كل شيء الا من الحب « فالحب يجردك من الأشـــياء ويقترب بـك من سلطان الحقيقة ويكشف لك الأسرار ، والأنوار تغمرك وتمتص شوائبك وتدنيك فى تمهل ونشوة » يسأله وكيل النيابـــة :

ــ اتريدنى أن أتحرر من سلطان العقل فى هـــذه القضـــية ؟

ــ أى قضـــية .

ــ قضية اختفـــاء عطيـــات ابنـــة الحـــاج رجب السبكى .

ــ ومن عطيـــات .

ويطلب وكيل النيابـــة من الشيخ أن ينتبه معـــه قليـــلا فيقرر له « لكى تصـــل الى الذات لابد أن تفهم ذاتيتك ، وتتكبد المشـــاق .. وتتحمـــل آلام الرحـــلة الطويلة .. وعندها والى جوارها .. تكن معـــك وانت معها .. تكن فيك وانت فيها .. الله .. الله » .

ويطلب وكيل النيابـــة من الشـــيخ أن يســـاعده للوصول الى الحقيقة وينقذ ابنه الذى تدينه كل الأدلة

فيقول « الشيطان يا بنى .. الشيطان والشباب .. الكل يخطىء »

ويدلى الشيخ برأى آخر بانها قد تكون انتحرت ويساله وكيل النيابة أن النمل قد يكون أكلها كما يقول خيشة فيجيبه الشيخ :

– النمل يأكل الأشياء يا بنى

– أى الأشياء

– التي تترك النمل يأكلها

– فكر جيد يا بنى .. فكر بقلبك لأن العقل كثيرا ما يضلل الانسان

– وكيف افكر بقلبى يا مولانا ؟

– دع جانبا كل أوراقك ، انس تماما كل ما جمعت من ادلة وما سمعت من اقوال وحاول ان تنظر فى عيونهم. حاول أن تصل الى قلوبهم وتأخذها برفق ، حاول أن تقرب قلبك من قلوبهم ستجدها فى النهاية لابد وان تطمئن اليك وتفرغ محتوياتها بين يديك .. وتأكد يا بنى أن معاملة القلوب أيسر بكثير من معاملة العقول .. اتظن أن الجانى يعيش الآن بقلب مطمئن ؟

– بعضهم يفعل فعلته ورغم ذلك يعيش بقلب مطمئن .

ـ لا يا بنى من المستحيل ان يصـــل القلب الذى يحمل اثما الى مرحلة الاطمئنان قبل ان يفرغ محتواه .

ويستمر الحوار بين الشيخ ووكيل النيابة الذى يطلب منه أن يعلمه كيف يصـــل الى قلوبهم فيخبره بأن عليه ان يتعلم بمفرده .

فى هذا الحوار بين الشيخ ووكيل النيابة يضـــع الكاتب امامنا وسيلة من وسائل الوصول الى الحقيقة وهو الحب وانه يجب أن ننظر الى القلوب فهى التى تحمل الأسرار .. ويطلب من الانسان لكى يصـــل الى قلوب الآخرين لابد أن يكون الانسان نقيا .. يحمل قلبا صافيا .

وبعد هـــذه الرحلة مع شخصـــيات الراوية التى يقرر بعضها حقيقة وجود عطيات والبعض الآخر ينكر وجودهـــا وانه لم يرها ابدا ، نفاجأ فى آخر الروايـــة باعتراف خطير من الحاج رجب السبكى والد عطيـــات ومن حسن ايضا « سأقول الحقيقة .. لم يعد هنـــاك جدوى من التمادى فى هذه اللعبة السخيفة .. الحقيقة يا سيادة وكيل النيابة اننى لم تكن لى ابدا ابنة تدعى عطيات .. البلاغ كاذب .. وحسن هو الذى فعل ذلك لكى يشهر بسمعتى لأننى لم اكن اعطيه الأجر المعقول كما سبق ان قال لكم ، ولقد شجعته خالته على أن يقبل ذلك لأنها ، أقصـــد لأننى كنت أسيء معاملتها .. لأنها

كانت تتلهف لأن تكون لها ابنة ولو تموت فى حادثة كما يدعون . والآن أعتقد إننى بهذا الاعتراف ارضيت ضميرى وازحت العبء الثقيل عن صدرى » .

ويؤيد المهندس حسن الحاج رجب فى اعترافه فيرتمى وكيل النيابة على المقعد واشعل سيجارة وامتص نفسا عميقا ويتطلع الى الحاج رجب والحاجة تفيدة زوجته وحسن « نكس راسه واغمض عينيه .. رأى عينيها تحملقان اليه .. متوهجتان بارزتان من بين رءوس الأشواك المتنافرة ، تلتمعان وتدوران تتسعان ، خرجت من الفجوة ومسحت فمها بيديها ، ظهرت انيابها الطويلة المدببة .. دارت حول الفجوة .. اقتربت وهى تتشمم الأرض ، حرك قدمه ، جرت وسقطت بداخل الفجوة . هرول ناحيتها ، دار حول الفجوة ونظر وجلس ومد يده ، وتحسس الجدران ، احس بشىء يبتعد ، انبطح على الأرض وادخل ذراعه واطل براسه .. أحس بشىء يبتعد « زحف بصدره الى الأمام ونظر .. وظلت ذراعه تتأرجح فى فراغ الفجوة » .

ونحن نختلف مع الكاتب فى هذه النهاية الغائمة لوكيل النيابة ولا ندرى لماذا أثر أن يوقعه فى نفس الحيرة التى عانتها الشخصيات .. فالكاتب يقرر ان الحقيقة لا يمكن الوصول اليها لأنها نسبية ، وتختلف

حولها الآراء باختلاف الناس طبقا لمستواهم الفكرى والاجتماعى والحالة النفسية أيضا .. ولذلك يجب على الانسان ان يتقبل الواقع كما هو أو يتقبله عندما يصل الى الحد الذى يعجز عنده فى الوصول الى الحقيقة .. وعندئذ عليه ان يعيش فى الوهم حتى يصل يوما الى الحقيقة وهذا لن يحدث طبقا للنهاية التى وضعها الكاتب لوكيل النيابة .

اين البحث عن الحقيقة ومحاولات الوصول اليها استحوذ على اهتمام الكثير من الكتاب ، ففى اليابان مثلا تناول هذه القضية الكاتب اليابانى تسو فى احدى مسرحياته حيث يقرر أن الحقيقة نسبية لأن كل انسان يراها من وجهة نظره هو وحسب دوافعه النفسية ، ففى هذه المسرحية يخرج زوج وزوجته للتنزه فى الغابة فيقابلهما قاطع طريق ويدعى « تاكوان » ويعجب بالزوجة الجميلة ، فيربط الزوج فى شجرة ويقتله ، ويعتدى على الزوجة ، وفى التحقيق يقرر قاطع الطريق انه القاتل وتقرر الزوجة بأنها هى القاتلة وتحضر روح القتيل وتقرر انه انتحر .. وتدور احداث المسرحية للبحث عن الحقيقة مثلما فعل كاتبنا نبيل عبد الحميد الذى يهتم دائما بقضايا الانسان وعلاقاته بالكون المحيط به .

الفهـرس

نظرات نقدية فى القصة

القصيرة والرواية

يتناول الكاتب مجموعة من الأعمال الأدبية لنخبة من رواد القصة القصيرة والرواية .. من أبرزهم القاص محمود البدوى ، سعد حامد ، عبد الوهاب الأسوانى ، وعلى راس هذه الباقة الأديب الراحل يوسف السباعى ، كما يعرض لمجموعة من أعمال كتاب وأدباء الأقاليم .

والكاتب يغوص بقلمه فى أعماق الشخصيات والأحداث ليستخرج السمات الفنية والفكرية لكل منهم ، كما يبرز الجوانب الأصيلة لكل كاتب وأديب .

الكتاب القادم :

الرد على الحاد سارتر .

فؤاد كامل .

رقم الايداع ٨٥/٤٧٠٧

الترقيم الدولى ٠٦٧٨ ـ ٠١ ـ ٩٧٧

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب